الثقافة الإسلامية

المستوى الأول

إعداد

د. عابد بن عبدالله الثبيتي

أستاذ الثقافة الإسلامية المشارك

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين. أما بعد:

لقد أولت السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية الثقافة الإسلامية عناية كبيرة حين جعلتها مقررا إلزاميا في جميع سنوات التعليم العالي، كما تم التأكيد على هذا في عدد من مؤتمرات العالم الإسلامي، وكانت المملكة العربية السعودية ملتزمة بذلك في سياساتها ومقررات التعليم فيها بشقيه: العام، والعالي.

ومعلوم أنَّ العالم شهد في السنوات الأخيرة انفتاحا على بعضه البعض أكر من ذي قبل، حيث زالت كثير من الحدود الفكرية والثقافية بل والاجتماعية أيضا، فاحتاج المسلمون إلى بيان نظرة الإسلام في القضايا المعاصرة، ومساهمته في طرح الحلول للمشكلات التي تواجه العالم بروح الانفتاح المنضبط، الذي يدمج الفرد المسلم في العالم من حوله بثقافة راسخة يستطيع من خلالها الإفادة والاستفادة فيما لا يُخل بثوابته الدينية والتزاماته الوطنية، وقيمه الأخلاقية والاجتماعية والسلوكية، وهذا ما ينبغي أن تقوم به مقررات الثقافة الإسلامية.

وبناء على ذلك فقد تم إعداد هذا المقرر ليكون لبنة في البناء الفكري والثقافي لدى الطلاب، تُحقَّق من خلاله السياسة العامة للتعليم السعودي، ويُراعى فيه الأصالة والمعاصرة، حيث يرسخ القيم الإسلامية ويستفيد من المعطيات العلمية الحديثة ما أمكن، ليبرز الثقافة الإسلامية كواحدة من الثقافات العالمية المتفاعلة مع ما حولها من الثقافات.

وقد جاء في ثلاثة أبواب:

الأول: التمهيد: فيه التعريف بالثقافة الإسلامية، والتعريف العام بدين الإسلام وبيان أبرز خصائصه. وأما الباب الثاني فعن مكونات الإسلام: أصول العقيدة الإسلامية، وأصول الأحكام الشرعية الإسلامية، والقيم والأخلاق والآداب الإسلامية.

والباب الثالث عن النظام الاجتماعي في الإسلام، وفيه الحديث عن الأسرة، المرأة، والشخصية الإسلامية.

وإني لأرجو من قارئ هذا الكتاب ومدرِّسه ألا يبخل عليَّ بالنصح والتوجيه، والتنبيه على ما يعتري هذا الكتاب من الخطأ أو مواطن القصور التي ينبغي استكمالها في طبعات لاحقة بإذن الله.

المؤلف

البريد الإلكتروني abeb1429@gmail.com

جوال ٠٥٠٤٧٠٥٧٧٨

الباب الأول: التمهيد:

الوحدة الأولى: مدخل للثقافة الإسلامية:

الوحدة الثانية: التعريف بالإسلام، خصائصه.

الوحدة الأولى

مدخل للثقافة الإسلامية

قبل الخوض في مباحث هذا الكتاب لابد من بيان مجموعة من المقدمات الضرورية حول الثقافة الإسلامية، من حيث التعريف والأهداف والمصادر ونحوها، وبيانها على النحو الآتي:

أولا: تعريف الثقافة الإسلامية.

تتكون الثقافة الإسلامية من كلمتين: الثقافة، والإسلامية. وقبل بيان معناها مركبة يلزم بيان معنى كل منهما منفردة.

الثقافة في اللغة: الحذق والفطنة[١].

وفي الاصطلاح: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها[٢].

الإسلامية: اسم من الفعل الرباعي: أسلم، وهو بمعنى: انقاد. ودين الإسلام: الدين الذي جاء به الأنبياء جميع من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام. ثم اشتهر إطلاقه على الدين الذي جاء به محمدﷺ على وجه الخصوص[٣].

وأما الثقافة الإسلامية باعتبارها عَلَماً على علم معين فهي: **العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها**[٤].

شرح التعريف:

العلم: ضد الجهل، وهو إدراك الأمر على وجه الصحيح بأدلته.

منهاج الإسلام: الطريق الواضح البين الذي أنزله الله تعالى في كتابه وبينه النبي ﷺ في سنته وفهمه السلف بناءً على معاصرتهم تنزيل الوحي وفهمهم للغة العرب.

الشمولي: أي: الشامل لجميع حاجات الناس الدينية والدنيوية.

القيم: جمع قيمة، وهي كل ما تقوم به الحياة قياما صحيحا من المعتقدات والأحكام والتصورات عن الله والكون والحياة وغيرها.

---

(١) ينظر: الصحاح (٢٠/٥)، والقاموس المحيط(١٠٢٧/١).

(٢) المعجم الوسيط (٩٨/١).

(٣) المصدر نفسه، (٤٤٦/١).

(٤) ينظر: ورقة عمل الدكتور: مفرح القوسي بعنوان: تعريف الثقافة الإسلامية، والتي قدمها لندوة: مقررات الثقافة الإسلامية بين واقعها والمتغيرات، التي نظمتها كلية التربية بجامعة الملك فيصل بالإحساء في المدة من ٢٧-١٤٢٦/١٠/٢٨هـ.

النظم: جمع نظام، وهي في الإسلام: الأحكام الشرعية التي تبين للإنسان منهج حياته وتعامله في الجوانب الحياتية التي يحتاجها، كأحكام الاقتصاد والسياسة والاجتماع والقضاء والأخلاق وسائر الآداب والأحكام المتعلقة بالمخالطة والمعاشرة.

الفكر: عملية عقلية تقوم على ترتيب الأمور في الذهن حتى يتوصل بها إلى المطلوب.

وعمليات الفكر الإنساني على نوعين: إما إنتاج أفكار جديدة، أو نقد نتاج الأفكار القائمة وبيان مواطن الصواب فيها والخطأ بناء على الأدلة العقلية والنقلية.

أهداف الثقافة الإسلامية:

إنَّ للثقافة الإسلامية أهدافا منها:

١) التعريف العام بالإسلام عقيدة وشرعية، بعيدا عن تعقيدات العلوم النظرية والمناهج الفلسفية والطرق الكلامية.

٢) بناء التصورات الصحيحة لدى المسلمين عن الله والكون والإنسان والحياة وغيرها.

٣) كشف مغالطات المخالفين، وبيان شبههم حول الإسلام، والرد عليها بالأدلة من الشرع والعقل.

٤) نقد الثقافات الأخرى في عقائدها ومناهجها، ومقاصدها ووسائلها، ومقارنتها بما جاء به الإسلام ليظهر سموه على غيره من الملل والنحل.

٥) دراسة واقع المسلمين العقدي والتشريعي، وتقديم الحلول المناسبة لإصلاح الخلل، وبذل الجهد في معالجة جوانب الخطأ والقصور.

٦) رصد الغزو الفكري والثقافي الموجه على المسلمين، وكشف مخاطره، وتحذير المسلمين من كل ما يخالف معتقداتهم وتصوراتهم وشريعتهم وأخلاقهم.

مصادر الثقافة الإسلامية:

إن للثقافة الإسلامية مصادر تميزها عن غيرها من الثقافات الماضية والحاضرة، ويمكن تقسيم مصادرها إلى قسمين رئيسين:

الأول: المصادر الأصلية: وهي:

١- القرآن الكريم: فهو النور المنزل من الله تعالى، الذي تكفَّل بحفظه إلى قيام الساعة؛ ليكون نبراسا تستضيء به الأجيال المتعاقبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩.

والقرآن الكريم أصل الأحكام الشرعية، وإليه ترجع بقية الأدلة، وقد كان الصحابة ﷺ إذا عرضت لهم مسألة دينية أو دنيوية نظروا لحكمها في كتاب الله، فإن لم يجدوا نظروا في سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا جمعوا الناس واستشاروهم، فإن اجتمع رأيهم على أمر لم يخالفوه.

فالقرآن الكريم هو الذي ميز أمة الإسلام عن سائر الأمم، وكوَّن للمسلمين شخصية متميزة عن سائر الشخصيات: فهم متميزون في عقيدتهم التي يوحدون الله عز وجل فيها، وفي أحكامهم التي يتعبدون بها لله تعالى، وفي أخلاقهم وسلوكهم التي هي جزء من دينهم الذي يدينون به لربهم عز وجل.

٢. السنة النبوية :

السنة في اللغة: الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة.

وفي الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية.

والسنة النبوية هي الوحي الثاني الذي أوتيه النبي ﷺ حيث قال: **(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**[١].

وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ مع الأمر بطاعته سبحانه فقال: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ المائدة: ٩٢.

وجعل إتباع المؤمنين للنبي ﷺ أمارة صدق إيمانهم ودليل محبتهم لربهم عز وجل، والتي تجلب محبة الله لهم كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١، وحذر تعالى من مخالفته ﷺ فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣.

وما دامت السنة بهذه المنزلة فهي جديرة أن تكون مصدرا أصيلا من مصادر الثقافة الإسلامية.

وإن من الانحراف أن يقتصر الناس على القرآن الكريم دون السنة المطهرة، التي هي مؤسسة لأحكام لم ترد في القرآن الكريم، أو مبينة لمجمل فيه، أو شارحة لموجزه، وقد حذر النبي ﷺ من هذا فقال: **(لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ)**[٢].

٣. الإجماع:

وهو: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد موته على حكم شرعي.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم(١٧١٧٤)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود برقم(٤٦٠٥)، وصححه الألباني.

وإنَّ الله تعالى قد منع اجتماع كلمة أهل العلم من أمة محمد ﷺ على باطل، بل جعل اجتماعهم لا يتم إلا على حقٍّ يريده ويرضاه، كما قال النبي ﷺ: (**إِنَّ اللهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَيَدُ اللهِ عَلَى الجَمَاعَةِ**)[1] . فالمسائل التي انعقد الإجماع عليها من علماء الأمة اكتسبت قطعية الحكم، وصارت ثابتة يمكن الأخذ بها والاعتماد عليها عند بيان الإسلام والدفاع عنه، كالإجماع على أنَّ دين الأنبياء واحد لا يختلف وإنما الاختلاف في الشرائع العملية، والإجماع على جمع القرآن، وكتابة المصحف، ونحوها من الإجماعات المؤثرة في مسيرة الثقافة الإسلامية[2].

الثاني: المصادر التبعية:

ذكر فيما سبق المصدران الأصليان للثقافة الإسلامية، واللذان هما حاكمان على سائر المصادر، وهنا نذكر أهم وأبرز المصادر التبعية للثقافة الإسلامية، وهي على النحو الآتي:

١- السيرة النبوية :

إنَّ سيرة النبي ﷺ وأحداث حياته هي التطبيق العملي لما جاء به من النور والهدى والحق من ربه عز وجل، وما أشكل فهمه من نصوص الوحي وجدنا تطبيقه عمليا في سيرة النبي ﷺ ومواقفه؛ لذا فهي جديرة بالقراءة والفقه والفهم والمدارسة؛ لتُكوِّن لدى المسلم إرثا ثقافيا شرعيا صحيحا.

٢. سير السف الصالح والآثار المنقولة عنهم:

السلف الصالح: هم المتبعون للنبي ﷺ قولا وعملا واعتقادا من أهل القرون المفضلة، الذين قال فيهم النبي ﷺ لما سئل: أي الناس خير، قال: (**قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَبْدُرُ –تسبق– شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَتَبْدُرُ يَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**)[3] .

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في بيان المقصود بهذه القرون الثلاثة: "الصحيح أنَّ قرنه ﷺ: الصحابة، والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم"[4].

فسير السلف الصالح، وكذلك أقوالهم لها قيمة كبيرة في بناء الثقافة الإسلامية، وما ذلك إلا لأنهم عاصروا النبي ﷺ، وشهدوا التنزيل، ولم تزل أحكام الإسلام ومفاهيمه في عصورهم غضة طرية صافية لم

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(٣٩٥٠)، وصححه الألباني.

(٢) لم نذكر القياس مصدرا من مصادر الثقافة الإسلامية؛ لأنَّه وسيلة للاجتهاد وأداة لاستنباط الأحكام الشرعية، وهذا عمل الفقيه وليس عمل المختص في الثقافة الإسلامية.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣٣).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم(١٦/٨٥).

تخالطها الثقافات ولم تغيرها علوم الأمم الأخرى ومناهجها، بالإضافة إلى ما حباهم الله إياه من رقة القلوب، وصدق الإتباع، وإدراك للسان العربي الذي نزل به الوحي.

ومن جاء بعدهم من التابعين فقد أدرك من فضلهم وصفاء منهجهم شيئا كثيرا، وورد معهم موردهم وسلك مسلكهم في فهم الدين والعمل.

وأنبه هنا إلى أنه لا ينبغي الأخذ بروايات السير وماينقل عن السلف الصالح بمعزل عن الأصلين السابقين: الكتاب والسنة، بل لابد من محاكمة تلك الروايات والسير إلى الثابت في الكتاب والسنة؛ فإن وافقته فهي حق وإن خالفته تُركت، إذ لا قيمة لها ولا مُعوَّل عليها.

٣. اللغة العربية :

لغة العرب هي اللسان الذي نزل به الوحي من الله تعالى ونطق به النبي ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف: ٢، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ الشورى: ٧، ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأحقاف: ١٢.

ولما كان المصدران الرئيسان: الكتاب والسنة قد نزلا بهذه اللغة، فلا سبيل لفهمهما حق الفهم إلا بإتقان اللسان العربي، وفهم دلالات ألفاظه وجوانب فصاحته وبلاغته، لذا صارت هذه اللغة أحد مصادر الثقافة الإسلامية.

موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى

إن الثقافة في أي أمة من الأمم لها أربعة جوانب: المعتقدات والقيم، والعادات والأخلاق، والفكر والنظر، والإنتاج والتطور الدنيوي.

والحق أن هذه الجوانب الأربعة بينها تفاعل وترابط، فلا يمكن أن يعزل جانب منها عن بقية الجوانب عزلا كليا، بل لابد من التأثر فيما بينها، ولكن يقع التفاوت في مدى التأثر قوة وضعفا.

والثقافة الإسلامية لن تعيش بمعزل عن الثقافات الأخرى للأمم التي تعيش معها على أرض واحدة، ولها معها تداخل وتقاطع في المصالح الدنيوية والمشتركات الإنسانية؛ ولكنها تستطيع التعامل معها تعاملا متوازنا يعصمها من التأثر السلبي بها، ويحفظها من الذوبان فيها، وسأبين كيفية التعامل مع كل مكون من تلك المكونات السابق ذكرها بما يلي:

أولا: جانب المعتقدات والقيم:

إنَّ عند الثقافة الإسلامية من صحة العقيدة وسمو القيم ما يجعلها شامة بين الأمم، لأن عقيدتها مأخوذة من وحي معصوم، فهي بهذا لا تحتاج إلى ما عند الأمم من العقائد والقيم.

ومما يبين هذا أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قرأ مرة على النبي ﷺ صحيفة أصابها من بعض أهل الكتاب –اليهود أو النصارى– فغضب ﷺ وقال: (**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**)[1] .

ثانيا: جانب العادات والأخلاق:

من المعلوم أن لكل أمة عاداتها وأخلاقها، والعادات والأخلاق متأثرة بالعقيدة، ويبين هذا أنَّ عادات الطعام والشراب والملبس والمسكن متأثرة تأثيرا كبيرا بالعقيدة، فالضيافة في الإسلام من الدين، ومع هذا لا يجوز تقديم المحرمات فيها، كالخمور ولحوم الميتة والخنزير، لأنَّ ما يعتقده المسلم من حرمتها يمنعه من تقديمها لضيوفه، أمَّا غير المسلمين فيقدمونها لضيوفهم ولا يرون بذلك بأسا، لأنَّ عقيدتهم لا تمنعها.

بل تعدى الأمر العادات في الطعام واللباس إلى بناء المساكن تأثرا بالاعتقاد، فقد جرت عادة المسلمين عند بناء بيوتهم أن يجعلوها ساترة للنساء عن الرجال الأجانب حال التزاور، وهذا نابع عن اعتقادهم بوجوب الفصل بين الرجال والنساء ولو كان ذلك في المساجد التي يأتي إليها الناس بقصد العبادة، وأما الكفار فعادتهم ضد ذلك؛ لأنهم لا يجدون حرجا في العلاقات بين الجنسين واتخاذ الأصدقاء والأخدان؛ لذا فبيوتهم يكشف بعضها على بعض، وهذا النوع من العادات لا يجوز للمسلمين أخذه من الثقافات الأخرى؛ إذ هو من نتاج اعتقادهم المنحرف.

وأمَّا عاداتهم التي ليس لها ارتباط ظاهر بعقائدهم ولكنها تعتبر من السمات الظاهرة لحياتهم كعادات الأكل والشرب واللباس ونحوها من سمتهم الظاهر فهي من المحرمات على المسلمين، لأنَّ فعلها يعتبر تشبها بهم، والتشبه محرم، لما ثبت عن ابن عمر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من تشبه بقوم فهو منهم"**[2].

وقد بين ابن تيمية ﷺ الحكمة من منع المسلمين من التشبه بغيرهم من اليهود والنصارى في عاداتهم ومظاهر حياتهم فقال: " إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما إرتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعورا وأحوالا.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٥١٥٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل برقم (١٥٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم(٤٠٣١)، وقال الألباني: حسن صحيح.

وقد بعث الله محمدا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

منها: أنَّ المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة – مثلا – يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أنَّ المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الإنقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والإنعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بحقائق الإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنا وظاهرا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحا محضا لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم. فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له"[1].

ثالثا: جانب الفكروالنظر:

ينقسم النتاج الفكري في الثقافات الأخرى إلى قسمين:

الأول: ماكان متأثرا بعقيدة منحرفة أو باطلة، أو مخالفا للثابت من عقيدة المسلمين، كنظرية النشوء والتطور–الداروينية– والنظريات التي تقدس الطبيعة وتجعلها خالقة موجدة، ومهلكة مفنية، فهذا القسم يحرم على المسلمين قبوله والتسليم به.

الثاني: ما كان نتيجة التجربة أو التأمل والتفكير ولم يعارض الثابت من عقيدتنا، كبعض المناهج البحثية، والنظريات التي تحاول تفسير تصرفات وانفعالات النفس البشرية، وكذلك العلوم الطبية والفلكية ونحوها مما لا يناقض المعلوم الثابت في ديننا فلا حرج من الاستفادة منه، لأنه من المشترك الإنساني الذي لا يختص به قوم دون قوم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم(١/٩٢-٩٤).

رابعا: جانب الانتاج والتطور الدنيوي:

الإنتاج الصناعي والتقني عند الأمم الأخرى أيسر الجوانب وأقلها خطورة، فلا حرج على المسلم من الاستفادة مما ينتجونه من تقنية وأجهزة ووسائل مواصلات وبرامج تواصل بين الناس، مع الحذر مما لا يجوز تصنيعه كالأسلحة المدمرة التي تقتل كل ذي روح من غير تمييز بين مذنب وبرئ، إذ لا يجوز في ثقافتنا القتل العام ولا الإهلاك العام للحرث والنسل. وكذلك الحذر من استعمال تلك المنتجات فيما لا يجوز استعمالها فيه، كنشر الفواحش والإشاعات والكذب ونحوها

وخلاصة القول: إنَّ موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى موقف ايجابي يتفاعل معها فيما فيه نفع للبشرية شريطة ألا يخالف أصول ديننا وثوابت عقيدتنا وشريعتنا، أما إن خالفها أو كان مما يضر بالناس فإنا لا نقبل به فضلا عن أن نشارك فيه.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في بيان الموقف من الثقافات الأخرى، وخاصة الغربية: إن الاستقراء التام القطعي دلَّ على أنَّ الحضارة الغربية المذكورة تشتمل على نافع وضار: أما النافع منها فهو من الناحية المادية، وتقدمها في جميع الميادين المادية أوضح من أن أبينه، وما تضمنته من المنافع للإنسان أعظم مما كان يدخل تحت التصور، فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة من حيث إنه جسد حيواني، وأما الضار منها فهو إهمالها بالكلية للناحية التي هي رأس كل خير، ولا خير ألبتة في الدنيا بدونها، وهي التربية الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه، وذلك لا يكون إلا بنور الوحي السماوي الذي يوضح للإنسان طريق السعادة، ويرسم له الخطط الحكيمة في كل ميادين الحياة الدنيا والآخرة، ويجعله على صلة بربه في كل أوقاته.

فالحضارة الغربية غنية بأنواع المنافع من الناحية الأولى، مفلسة إفلاسا كليا من الناحية الثانية.

والتقسيم الصحيح يحصر الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها، حصرا عقليا لا شك فيه:

الأول: ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارها .

الثاني: أخذها كلها ضارها ونافعها .

الثالث: أخذ ضارها وترك نافعها .

الرابع: أخذ نافعها وترك ضارها .

فنرجع بالسبر الصحيح إلى هذه الأقسام الأربعة، فنجد ثلاثة منها باطلة بلا شك، وواحدا صحيحا بلا شك.

أمَّا الثلاثة الباطلة: فالأول منها تركها كلها، ووجه بطلانه واضح؛ لأنَّ عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي إلى الضعف الدائم، والتواكل والتكاسل، ويخالف الأمر السماوي في قوله جل وعلا:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠.

القسم الثاني من الأقسام الباطلة: أخذها؛ لأنَّ ما فيها من الانحطاط الخلقي وضياع الروحية والمثل العليا للإنسانية أوضح من أن أبينه، ويكفي في ذلك ما فيها من التمرد على نظام السماء، وعدم طاعة خالق هذا الكون جل وعلا: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ يونس: ٥٩، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ الشورى: ٢١.

والقسم الثالث من الأقسام الباطلة هو: أخذ الضار وترك النافع، ولا شك أنَّ هذا لا يفعله من له أقل تمييز، فتعينت صحة القسم الرابع بالتقسيم والسبر الصحيح، وهو أخذ النافع وترك الضار.

وهكذا كان ﷺ يفعل، فقد انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مع أنَّ ذلك خطة عسكرية كانت للفرس، أخبره بها سلمان فأخذ بها، ولم يمنعه من ذلك أنَّ أصلها للكفار، وقد انتفع ﷺ بدلالة ابن الأريقط الدؤلي له في سفر الهجرة على الطريق، مع أنَّه كافر.

فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا؛ فتصلح لهم الدنيا والآخرة.

والمؤسف أنَّ أغلبهم يعكسون القضية، فيأخذون منها الانحطاط الخلقي، والانسلاخ من الدين، والتباعد من طاعة خالق الكون، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي، فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

وما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وقد عرف في تاريخ النبي ﷺ وأصحابه أنهم كانوا يسعون في التقدم في جميع الميادين مع المحافظة على طاعة خالق السموات والأرض جل وعلا[1].

وقد قرر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ هذا قديما فقال: إنَّ ذكر ما لا يتعلق بالدين مثل مسائل الطب والحساب المحض ما غايته الانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا فهذا جائز؛ لأنَّ كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة، وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة، بل هو مجرد انتفاع بآثارهم كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك" .[2]

(١) ينظر: أضواء البيان(٤/٤٧٦-٤٨٠)مختصرا.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى(٤/١٠٥)بتصرف.

ثم إنَّه يجب على المسلمين أن يكونوا مبادرين إلى تقديم ثقافتهم الإسلامية للعالم، حتى يسهموا في توجيه الفكر والتأثير في العلوم، وطرح الحلول للمشكلات التي تعصف بالعالم على تنوعها: من نفسية، وسياسية، واقتصادية، وأخلاقية... لتسهم في إنقاذ البشرية من الانكباب على المادة والغفلة عن الروح، مما جعل البشرية في العالم تعيش أزمات نفسية، وانحرافات أخلاقية، وجرائم شهوانية، وانحلال خلقي، وفشو الأمراض المهلكة، وكثرة حالات الانتحار هربا من الواقع الروحي اليائس.

إنَّ العالم اليوم لا ينقصه تطور تقني ولا تقدم تكنولوجي؛ إنما ينقصه إيمان يعمر القلوب الخاوية بعقيدة صحيحة صافية تقوده إلى سعادته التي يلهث بحثا عنها وما وجدها، ولن يجدها ما دام في غيه وبعده وانحرافه واتباعه لشهواته، وليس ذلك إلا في الثقافة الإسلامية.

ومن تأمل الواقع وجد أنَّ الثقافة الإسلامية مؤثرة في الثقافات الأخرى مع ضعف المسلمين اليوم، وعدم امتثال كثير منهم لمبادئها وقيمها. ومن ذلك: أنَّ المنصفين من مفكري الغرب يقرون بأن ما تعيشه أوربا اليوم من تطور إنما كانت بدايته علوم المسلمين في الأندلس قبل سقوطها، ثم طوروها وفتح الله عليهم فيها؛ حتى وصلوا إلى هذا التقدم الدنيوي المشهود للعيان؛ أمَّا في أمور الآخرة فهم بحاجة إلى من يقودهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الروم: ٧.

وفي علم الألسن نجد أنَّ اللغة العربية– لغة الثقافة الإسلامية– قد أثرت في كثير من لغات العالم الحية، بحيث أدخلت كلمات من العربية في تلك اللغات، وصارت تستعمل فيها استعمال الكلمات الأصلية فيها.

وإنَّ من آخر ما شهد لتأثير الثقافة الإسلامية في الثقافات الأخرى ما نادى به جمع من علماء الاقتصاد في العالم، وفي أمريكا على وجه الخصوص بعد الانهيار المالي الكبير لأعظم بنوك أمريكا قبل أعوام مما حدا بهم إلى المطالبة بأخذ النظام المصرفي الإسلامي وإحلاله محل النظام الربوي القائم في الغرب.

الوحدة الثانية

التعريف بالإسلام، وخصائصه

الإسلام دين الفطرة:

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى خلق آدم عليه السلام ليكون خليفة في الأرض، وقد فطره وذريته على توحيده، وجعل الإقرار بربوبيته مركوزا في نفوسهم حيث قال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٢.

ثم اقتضت حكمته إنزاله إلى الأرض، فأنزله مؤمنا موحدا لله تعالى، ولم يزل على التوحيد هو وذريته حتى مات، وبقيت ذريته على التوحيد الخالص عشرة قرون ثم انحرفوا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: **"كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"**[1].

والدين الذي أرسل الله به كل الرسل هو: الإسلام، الذي لا يقبل الله تعالى من أحد دينا سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥.

وكلما انحرفت أمة من الأمم عن الدين الحق أرسل الله تعالى إليهم رسولا يدعوهم إلى مراجعة دينهم، ومن لم يستجب لداعي الحق كانت عاقبته الهلاك، كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۖ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٤.

تعريف الإسلام :

الإسلام في اللغة: الانقياد[2].

وفي الشرع: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

وهذا التعريف يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: أن يستسلم العبد لله تعالى استسلاما تاما اختياريا، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق التوحيد في القلب، وانقياد القلب والجوارح لله بإفراده بما يختص به في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه على عباده.

فالمراد بالاستسلام هنا الاستسلام الاختياري من العبد، فهو الذي يؤجر عليه، أمَّا الاستسلام القدري الاضطراري فليس عليه ثواب ولا يعد طاعة؛ إذ كل من في الكون مستسلم له سبحانه استسلاما

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤٠٠٦) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووفقه الذهبي.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة،(ص١٤٤٨).

اضطراريا، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ آل عمران: ٨٣.

الثاني: الانقياد لأمره ونهيه، فيفعل العبد المأمور به ويجتنب المحظور امتثالا لأمر الله عز وجل.

الثالث: البراءة من الشرك وأهله، وذلك بنبذ كل معبود من دون الله، والحذر من الوقوع فيما يضاد التوحيد، ففي الحديث القدسي: (**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**)[١].

ومن البراءة من الشرك البراءة من المشركين، وعدم توليهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ المائدة: ٥٧.

قال ابن سعدي رحمه الله:"نهى الله عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولَّونهم ويبدون لهم أسرار المؤمنين، ويعاونوهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأنَّ ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك مولاتهم، ويحثهم على معاداتهم"[٢].

ولما اختار الله تعالى للبشرية دينا واحدا ارتضاه –وهو الإسلام– جعله شاملا لكل ما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم، مبينا لهم ما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم.

خصائص الإسلام:

الخصائص: جمع خصيصة، وهي تتضمن معنى الانفراد[٣]. قال الراغب: "التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرُّد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم". أ.هـ[٤].

وخصائص الإسلام هي: الميزات والصفات التي ينفرد بها دين الإسلام عن غيره من الديانات والمناهج الأخرى.

وإنَّ للإسلام خصائص ينفرد بها، ومميزات تميزه عن سائر الأديان، منها:

١- الربانية:

إنَّ المصدرين الأصليان للإسلام هما: الكتاب والسنة، وهما منزلان من الله تعالى وحيا على نبيه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ هود: ١، وقال أبو ذر رضي الله عنه: (تركنا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن(ص٢٣٦).

(٣) ينظر: لسان العرب (٢٥/٧).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن(ص٢٨٤).

رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علما)، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ)**[1].

فكل أحكام الإسلام العقدية والشرعية والأخلاق والآداب منزلة من الله تعالى. وليس المقصود أنَّه عز وجل بيَّن جميع جزئيات المسائل وتفاصل الأحكام، بل المقصود أنه أرسى بالوحي قواعد من شأنها بناء مفاهيم شرعية صحيحة في أذهان المسلمين للحكم على كل ما يستجد في الحياة ليكتشفوا بها مواطن الزلل ومواقع الخطأ.

٢. العالمية:

لقد أخذ الإسلام عالميته من عالمية الرسالة التي بعث بها النبي ﷺ، إذ لم يبعث لقومه خاصة ولا للعرب فقط؛ بل بعث للثقلين الإنس والجن، قال تعالي: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ** ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨. وأخبر الله تعالى عن إيمان الجن وإتباعهم له ﷺ فقال: ﴿ **قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢** ﴾ الجن: ١ - ٢.

من هنا فإنَّ الإسلام دين عالمي يُدعى له الجميع، فليس دينا قوميا لعرق دون عرق، ولا لأمة دون أمة، أو لأهل بلد دون سائر البلدان، بل هو دين كل من يؤمن به أيًّا كان عرقه ولونه وبلده. وأمَّا انقسام الناس لشعوب وقبائل وبلدان إنَّما هو للتعارف وعمارة الأرض والقيام بواجب الخلافة فيها، ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾** ﴾ الحجرات: ١٣.

٣. الشمول:

إنَّ أحكام الإسلام جاءت شاملة لكل ما يضمن للإنسان صلاح دينه ودنياه وآخرته، فتدعوه لتصحيح عقيدته وما ينطوي عليه فؤاده من أمور الغيب، وتخط له طريقا صحيحا لممارسة شعائره التعبدية، وتبين له المسلك الصحيح في تعاملاته الحياتية، وتهذب أخلاقه وسلوكه بآداب وأخلاق سامية مرتبطة بما يعتقده من الحق.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يعلن للملأ أن كل شؤون حياته نابعة عما يعتقده ويؤمن به فقال: ﴿ **قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾** ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ .أي: قل لهم مبينا أن هذا الدين الذي جئتكم به من عند الله يأمرني أن أجعل عبادتي وذبحي وحياتي كلها بل وموتي لله عز وجل ووفقا لمراده مني لا أصرف منها شيئا لغيره، ولا أستثني منها شيئا ليخرج عن مراده.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٦٤٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وقد بينت الوقائع والحوادث التي استجدت في حياة الناس على مر التاريخ أن الإسلام يتضمن حكم الله تعالى في كل ما أستجد منها مما لم ينص على حكمها في الكتاب والسنة، وهذا مظهر من مظاهر شموله لكل ما يصلح الإنسان ويقوده إلى سعادة في الدنيا والآخرة.

٤. التوازن:

التوازن: الاعتدال وعدم تغليب جانب على جانب.

إنَّ مما تميز به الإسلام أنَّه وازن بين مطالب الروح من الإيمان واليقين والتوكل والاطمئنان، وبين مطالب الجسد في أخذ نصيبه من شهواته التي فطره الله على الميل إليها، لذا حرم الزنا حفظا لحق الله تعالى وحماية للدين وصيانة لأعراض الناس، وأباح النكاح؛ ليكون طريقا شرعيا يحقق للجسد شهوته التي فُطر عليها. وحرم التعامل بالربا وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة أباح أنواع الكسب المباح بالعمل والتجارة وغيرها مما يحقق للإنسان إشباع رغبته في التملك.

كما وازن بين الحقوق والواجبات، فأوجب على الإنسان تكاليف يقوم بها لغيره: لله، وللرسول ﷺ، وللإسلام، وللوالدين والقرابة والمجتمع، وجعل له حقوقا يجب أن ينالها؛ وإلا كان مستهلَكا منسيا، تضيع حقوقه، ويُستهلك في القيام بواجباته.

وهكذا إذا تأملنا سائر الأحكام الشرعية وجدناها على هذا المنوال في التوازن الذي لا يُغلِّب جانبا على جانب، ولا يراعي مصلحة طرف على حساب طرف أو أطراف أخرى، بل يسلك مسلك التوازن في كل الأمور.

٥. الوسطية:

الوسطية لغة: مأخوذة من الوسط، ووسط الشيء: ما بين طرفيه، وهو المعتدل في كل شيء[(١)].

واصطلاحا: الاعتدال على أكمل حال في جميع الأمور.

وقد جعل الله تعالى شريعة التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ معتدلة في جميع أحكامها وأوامرها ونواهيها وأخلاقها وتشريعاتها، حتى نسب الله تعالى وسطيتها إليه فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ال بقرة:٣٤١، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، كما هديناكم أيُّها المؤمنون بمحمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقِبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضَّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا"[(٢)].

---

(١) المعجم الوسيط(٢/١٠٣١).

(٢) جامع البيان(٣/١٤١).

وتبرز وسطية الإسلام في مسائل من أشهرها: أنَّه وسط في الاعتقاد في الله بين الملحدين الذين لا يؤمنون بالله واليهود الذين يلصقون به النقائص. وفي الأنبياء بين من يغلو فيهم أو في بعضهم فيعطيهم شيئا من خصائص الربوبية كما تفعل النصارى ومن يستخفون بهم ويؤذونهم بل ويقتلونهم كما تفعل اليهود. وفي الملائكة بين المشركين الذي جعلوهم إناثا وبنات لله، والفلاسفة المكذبين بهم. وفي الصحابة بين الذين يكفرونهم أو أكثرهم والغلاة الذين يمنحون بعضهم خصائص الرب عز وجل أو بعضها. وهكذا في سائر الاعتقادات.

بل تتعدى وسطية الإسلام الاعتقاد إلى السلوك والتصرفات، ففي باب اللباس والزينة شرع الله تعالى الوسط وهو اللباس الحسن النظيف، وهذا توسط بين من يلبس الخشن من الثياب مع التساهل في النظافة، ومن يغلو فيلبس ويتزين بالمحرم من اللباس والزينة.

وفي باب الأخلاق شرع الشجاعة وحثَّ عليها وحرَّم التهور والجبن، وشرع الكرم وحرَّم الإسراف والبخل، وشرع العفة وحرَّم الدياثة والشك والتهمة بلا دليل...إلخ

٦. التيسير:

بنى الله تعالى الشريعة الإسلامية على مبدأ التيسير في جميع الأحكام، فلم يشرع إلا كل يسير على المكلفين، فلم يأمر بما يعجزهم أو يشق عليهم مشقة خارجة عن العادة، ومتى طرأت مشقة غير معتادة لبعض الناس ورد التخفيف من الله، كالتخفيف عن المريض والمسافر في بعض الأحكام الشرعية. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ال بقرة:٥٨١،وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ النسـ اء:٨٢، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ الحج: ٨٧.

تنبيه:

التيسير هو ما شرعه الله تعالى لا ما يختاره الناس لأنفسهم، لأنهم لو اختاروا فسيختارون ما يوافق أهواءهم ورغباتهم لا ما يحقق مرضاة ربهم مما شرعه لهم.

٧. الاستقلالية:

الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة عن سائر القوانين والأنظمة الحاكمة في عالم اليوم، فهي لا تشترك معها في المصدر ولا في النتيجة وإن حصل بعض الاتفاق في الجزئيات، لأنَّ مصدرها الرب عز وجل، أما القوانين فمصدرها الأعراف البشرية وآراء المفكرين، ورصيد التجارب الإنسانية.

والنتيجة التي تقود الشريعة الناس إليها هي صلاح الدنيا وسعادة الآخرة، في حين أنَّ القوانين الأرضية

إن أصلحت شيئا فهي إنما تصلح جانب العلاقات بين الناس في حدود مصالحهم الدنيوية فقط، أمَّا إصلاح الأرواح الذي ينبني عليه صلاح الآخرة فهذا ما لا تستطيعه، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ الروم:٦ - ٧.

"لقد عرف العالم في نشأته وتطوره نظما عدة، وليس النظام الإسلامي واحدا من هذه النظم ولا خليطا منها، وليس مستمدا من مجموعها...إنما هو نظام قائم بذاته مستقل بفكرته متفرد بوسائله" [1].

فالإسلام مستغنٍ في أحكامه وتشريعاته عن القوانين الأرضية، وأمَّا القوانين فهي التي تحتاج لما في الإسلام من هداية ورشد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(١) خصائص الشريعة الإسلامية(ص٣٨).

الباب الثاني
مكونات الإسلام

القسم الأول: أصول العقيدة الإسلامية.
القسم الثاني: أصول الأحكام الشرعية الإسلامية.
القسم الثالث: القيم والأخلاق والآداب الإسلامية.

تمهيد:

إذا تأملنا الدين الذي أنزله الله تعالى على خاتم رسله ﷺ نجد أنَّه يتكون من جزئين كبيرين: العقيدة، والشريعة. ثم إنَّ الشريعة تنقسم إلى قسمين أيضا: أحكام، وقيم وأخلاق وآداب. فصارت محصلة التقسيم ثلاثة: عقيدة، وأحكام، وقيم وأخلاق.

وقد جمع الله تعالى هذه الأقسام في آية من كتابه، وذكر نماذج من كل قسم منها، وهي قوله عز وجل: ﴿ * لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ ال بقرة:١٧٧

فجعل سبحانه البر ثلاثة أقسام:

الأول: العقيدة، ومثَّل لها سبحانه بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾.

والثاني: الأحكام الشريعة العملية، ومثَّل لها بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

والثالث: القيم والأخلاق والآداب، وقد ختم بأمثله لها في قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

ثم ختمها كلها بقوله سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

وفيما يلي بيان أصول كل قسم منها:

القسم الأول: أصول العقيدة الإسلامية.

تعريف العقيدة:

العقيدة لغة: مصدر من العقد، وهو ربط الشيء. والمراد بها: انعقاد القلب على أمر من الأمور بحيث لا يتطرق إليه الشك أبدا(١).

وفي الشرع: كل ما انطوى عليه القلب من الأمور الغيبية التي وردت في الكتاب والسنة، كالإيمان بالله تعالى والملائكة والجنة والنار...إلخ.

مصادر العقيدة :

إنَّ المصدر الصحيح لأخذ العقيدة هو الكتاب والسنة والإجماع، فمنها فقط تؤخذ العقيدة الصحيحة، وما سواهما لا يصلح أن يكون مصدرا؛ وذلك لأنَّ مسائل العقيدة كلها من الأمور الغيبية، ولا سبيل لأحد إلى إدراكها إدراكا صحيحا إلا بما يطلعه الله عليه من الغيب، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الكهف: ١١٠.

ولم تنحرف البشرية عن الإسلام إلا لما أخذت اعتقادها من غير الوحي؛ كأخذ اليهود والنصارى من الأحبار والرهبان بلا دليل ولا برهان، أو أخذ الدين من الكبراء والرؤساء كسائر الملل التي انحرفت انحرافا كاملا عن الدين وخرجت عن جادة الحق والصواب.

وقد تنحرف البشرية عن التوحيد الخالص بسبب أخذهم العقيدة أو بعضها من غير الوحي مما استحسنوه من الفلسفات والمنامات والأذواق وأنواع المكاشفات... وهذا حال أهل البدعة والإحداث في الدين.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإتباع الدين الذي أوحي إليه دون الالتفات إلى غيره مما يحدثه الناس: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٦، وقال: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ الزخرف: ٤٣.

وما ذكره الله تعالى في الوحي من أمور الغيب كثير، وأصولها ستة، هي المعروفة بأركان الإيمان المذكورة في حديث جبريل الطويل(٢)، وبيانها على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: القاموس المحيط (ص٣٨٣).

(٢) أخرج ابن ماجه عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّه قال:(**كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ: فَجَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ شَعَرِ الرَّأْسِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ سَفَرٍ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، قَالَ: فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَهُ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ» قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا مِنْهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَكُتُبِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا مِنْهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ:**

أولا: الإيمان بالله تعالى:

الإيمان بالله تعالى: هو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله رب كل شيء ومليكه، وأنَّه المستحق للعبادة دون سواه، وأنَّ له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة المثلى[1].

إنَّ الإيمان بالله تعالى هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه[2] والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

١) الإيمان بوجوده عز وجل، وهذا أمر فطري، فإنَّ كل مولود يولد مفطورا على معرفة الله تعالى، كما مرَّ بيانه في دليل الفطرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ يونس: ١٠٥، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الروم:٣٠.

٢) توحيده تعالى في ربوبيته لخلقه وأنَّه المتفرد بالخلق والملك والتدبير، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف:45.

٣) توحيده في ألوهيته، فهو المستحق للعبادة دون سواه، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

٤) توحيده في أسماء وصفاته، وذلك بإثبات أسماء الله تعالى وصفاته على الوجه الذي يليق به سبحانه، ونفي مماثلته للمخلوقات، عملا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١.

وإنَّ البرهان على إيمان العبد بالله تعالى قيامه بالعمل الصالح امتثالا لأمر الله، والمسارعة في أبواب الخير تقربا إليه، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف: ١١٠.

أمَّا إذا كان الإيمان بالله مجرد اعتقاد في القلب بوجوده، أو إقرار باللسان دون العمل بأوامره واجتناب نواهيه، فلا يعتبر إيمانا صحيحا، بل هو انحراف عن جادة الإيمان، ومخالفة للمقصود من إنزال القرآن على الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ النساء: ١٧٤- ١٧٥.

قال ابن سعدي رحمه الله: "انقسم الناس -بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به- قسمين:

«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» ، قَالَ: فَمَا أَمَارَتُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا» – قَالَ: وَكِيعٌ: يَعْنِي تَلِدُ الْعَجَمُ الْعَرَبَ – «وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: فَلَقِيَنِي النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: «أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ»). حديث رقم(٦٣)وصححه الألباني.

(١) ينظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٢٧).

(٢) ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص١٥).

١) [فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ]، أي: اعترفوا بوجوده واتصافه بكل وصف كامل، وتنزيهه من كل نقص وعيب. [وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ]، أي: لجأوا إلى الله واعتمدوا عليه، وتبرؤوا من حولهم وقوتهم واستعانوا بربهم. [فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ] أي: فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة، فيوفقهم للخيرات ويجزل لهم المثوبات، ويدفع عنهم البليات والمكروهات. [وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا] أي: يوفقهم للعلم والعمل، ومعرفة الحق والعمل به.

٢) ومن لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه منعهم من رحمته وحرمهم من فضله، وخلَّى بينهم وبين أنفسهم فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالا مبينا، عقوبة لهم على تركهم الإيمان، فحصلت لهم الخيبة والحرمان، نسأله تعالى العفو والعافية"[١].

ثانيا : الإيمان بالملائكة الكرام.

هو التصديق الجازم بأنَّ لله تعالى ملائكة، كرام، مخلوقون من نور، لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وهؤلاء الملائكة الأطهار أحد العوالم الثلاثة العاقلة: عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة.

والملائكة مجبولون على الطاعة دائما لا يعصون الله ما أمرهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦.

ولا يعلم عدد الملائكة إلا الله تعالى، إلا أنَّه قد ورد ما يدل على كثرتهم، ففي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: (**رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ**)[٢] .

وقد أخبرنا الله تعالى عن بعض الملائكة وأعمالهم، ومنهم: جبريل وهو الموكل بالوحي، وميكائيل موكل بالمطر، واسرافيل موكل بالنفخ في الصور، ومنكر ونكير موكلان بسؤال الموتى في قبورهم، وملك الموت موكل بقبض الأرواح، ومالك خازن النار. كما أخبر عن أعمال آخرين: كالحفظة، والكرام الكاتبين، وخزنة النار، وحملة العرش، ونحوهم.

فيجب الإيمان بمن أخبر الله عنهم إيمانا مفصلا بالإضافة إلى الإيمان المجمل بعموم الملائكة عليهم السلام.

ومن عادى أحدا من الملائكة واستخف بهم فقد كفر، قال الله عز وجل: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ البقرة: ٩٨.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن(ص ٢١٧)بتصرف يسير.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٢٠٧) ومسلم برقم(١٦٤).

ثالثا: الإيمان بالكتب:

وهو التصديق الجازم بأنَّ الله تعالى أنزل على أنبيائه ورسله كتبا تتضمن مراده من عباده، فيها الهدى والحق والنور. وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦، فأوجب الله عز وجل الإيمان بجميع الكتب بلا استثناء.

وقد أخبر الله تعالى عن ستة كتب أنزلها على أنبيائه عليهم السلام هي: التوراة، ونزَّلها على موسى، والإنجيل على عيسي، والزبور على داود، والقرآن على محمد، وصحف إبراهيم، وصحف موسى. ولم يصح في عدد الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه شيء يعتمد عليه.

فيجب الإيمان بجميع الكتب المنزلة إيمانا مجملا، وبالقرآن الكريم إيمانا مفصلا، وأمَّا العمل فلا يكون إلا بالقرآن الكريم دون غيره، إذ هو الكتاب الذي تكفل الله تعالى بحفظه من بين سائر كتبه، فهو محفوظ بحفظ الله له إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩، أمَّا غيره فهو إمَّا مفقود لا يُعلم عنه شيء كصحف إبراهيم وموسى والزبور، أو محرَّف مبدَّل كالتوراة والإنجيل.

رابعا: الإيمان بالرسل عليهم السلام.

وهو التصديق الجازم بأنَّ الله تعالى اصطفى رجالا من البشر أرسلهم لهداية الناس وتبليغهم عن ربهم ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه خمسة وعشرين نبيا ورسولا يجب الإيمان بهم على التفصيل[1]، وأخبر أنَّ من أنبيائه ورسله من لم يخبر بهم فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴾ غافر: ٧٨.

وأمَّا محمد ﷺ فيجب الإيمان به على التفصيل بأنَّه نبي الثقلين، خاتم الأنبياء والمرسلين، ويجب الاقتداء به واتباع سنته واتخاذه أسوة حسنة، وأنَّه لن يدخل الجنة أحد ممن أدركه أو جاء بعده إلا بالإيمان به واتباعه.

---

(١) ذكر الله تعالى ثمانية عشر نبينا في قوله ﷻ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنعام: ٨٣ – ٨٦. وذكر السبعة الباقين في آيات متفرقة، جمعهم الناظم في هذين البيتين:

في (تِلْكَ حُجَّتُنَا) مِنْهُمْ ثَمَانِيَة ... مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وهُمُ
إدْرِيسُ هُودُ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذا ... ذُو الكِفْلِ آدَمُ بالمخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

خامسا: الإيمان باليوم الآخر:

هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله تعالى به في كتابه وأخبر به نبيه ﷺ في سنته مما يكون بعد الموت.

وما يكون بعد الموت كثير منه: القبر ونعيمه وعذابه، والبعث، والحشر، والميزان، والحساب والصراط، والجنة، والنار، وما يتبع ذلك من علامات الساعة، وأهوال القيامة، وشدة الموقف، وأحوال الناس في العرصات، والشفاعة وغيرها.

ولأهمية الإيمان بهذا الركن قرنه الله تعالى بالإيمان به عز وجل في قرابة عشرين موضعا من كتابه، ومن ذلك قوله: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ البقرة: ١٧٧، وقوله: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ النساء: ٣٩، وقوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ المجادلة: ٢٢ .

وهذا يدل على عظم منزلة الإيمان باليوم الآخر وأنه لا قيمة للإيمان ما لم يتضمن الإيمان بهذا الركن العظيم.

ومما يجب الإيمان به على وجه التفصيل من أمور اليوم الآخر مايلي:

- الإيمان بسؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولاَنِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ أَضْلاَعُهُ، فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ)**[1] .
- الإيمان بالبعث بعد الموت، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١٥ – ١٦.
- الإيمان بحشر الخلائق وجمعهم في عرصات القيامة، لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ طه: ١٠٢ ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ فصلت: ١٩.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(١٠٧١)، وحسنه الألباني.

- الإيمان بالحساب، وأن الله يحاسب الخلق كلٌّ بما اقترف، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝١٥ ﴾ الانشقاق: ٧ – ١٥.
- الإيمان بالميزان، وأن الله تعالى يزن أعمال العباد كما قال ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ۝٤٧ ﴾ الأنبياء: ٤٧.
- الإيمان بحوض النبي ﷺ الذي يرده ويشرب منه من اتبعه، قال ﷺ: (**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**)[١].
- الإيمان بالصراط، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**)[٢].
- الإيمان برؤية المؤمنين لربهم ﷻ في الآخرة، قال النبي ﷺ: (**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**)[٣].
- الإيمان بالجنة دار للمتقين والنار دار للكافرين، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ﴾ آل عمران: ١٣٣ ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝١٣١ ﴾ آل عمران: ١٣١.

سادسا: الإيمان بالقدر:

هو التصديق الجازم بأنَّ الله تعالى علم كل ما كان وما يكون وما سيكون قبل أن يخلق الخلق، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وشاء وجوده في الكون، ثم خلق الخلق بعد ذلك كله.

وقد سأل يحي بن يعمر رحمه الله عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن قوم يقولون أن لا قدر وأنَّ الأمر أنف[٤]، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنِّي برئ منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أنَّ لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن القدر. ثم ساق حديث جبريل الطويل الذي سئل فيه النبي ﷺ عن الإيمان فقال: (**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٦٥٧٩).

(٢) المصدر نفسه برقم(٧٤٣٧).

(٣) المصدر السابق برقم(٥٥٤).

(٤) أي: أمر حادث جديد وليس مقدَّر في الأزل.

(٥) أخرجه مسلم برقم(٨).

والله تعالى قد جعل العبد مسيَّرا في بعض أموره لا مخيَّرا، وذلك في الأمور الكونية القدرية التي لم يمنحه الله حق الاختيار فيها، ولم يجعلها داخلة تحت قدرته ومشيئته، كالموت والحياة، والصحة والمرض، والغني والفقر، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ آل عمران: ٢٦.

أمَّا الأمور الشرعية المتعلقة بالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، فمن كمال عدل الله تعالى أن جعلها تحت قدرة العبد وإرادته ومشيئته، بعدما بيَّن له ما يحب منه أن يفعله وما يكره له فعله، فهو يختار بمحض إرادته، قال الله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ ﴾ الزمر: ٧، وقال: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ البلد: ١٠، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ التوبة: ١١٥.

ومن هنا يتبين أنَّ للعبد أن يحتج بالقدر على ما يصيبه من المصائب إذ هو مسير فيها ليس بيده الاختيار. وأما طاعته وعصيانه وإيمانه وكفره فلا يجوز له أن يحتج فيها بالقدر، بل هو يؤمن أو يكفر ويطيع أو يعصي بمحض إرادته واختياره، كما نطقت بذلك النصوص الشرعية السابقة وغيرها.

وختاما: يجب العلم بأنَّ الإيمان كل لا يتجزأ، فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بالأصول الستة جميعها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ النساء: ١٥٠ - ١٥١.

تنبيه:

ليعلم المؤمن أنَّ مبنى العقيدة كلها على الإيمان بالغيب، فمضمون أصول الإيمان وما يندرج تحتها كلها من أمور الغيب التي كشفها الله للناس على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، ولولا ذلك لم يكن سبيل إلى معرفتها، قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧.

والإيمان بالغيب أول صفة للمؤمنين ذكرها الله تعالى في كتابه في مفتتح سورة البقرة فقال: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ البقرة: ١ - ٣.

ولهذا فإنَّه يجب على المسلم تصحيح عقيدته، إذ صحة العبادة وقبولها عند الله مرهون بصحة الاعتقاد وإلا جعل الله الأعمال هباء منثورا، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ النور: ٣٩. وأخبر تعالى أنَّ عدم قبول أعمالهم الصالحة إنَّما كان بسبب فساد عقيدتهم فقال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ التوبة: ٥٤.

والأنبياء كلهم من أولهم نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ يدعون إلى عقيدة واحدة ودين واحد، هو توحيد الله عز وجل في ذاته وأسمائهم وصفاته وأفعاله، وتوحيده في إرادتهم وقصودهم ليعبد الله وحده لا شريك له، واختص كل

نبي بشريعة وأحكام يُتعبَّد بها لله تعالى، قال النبي ﷺ: (**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**[1]، **أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**)[2].

القسم الثاني: أصول الأحكام الشريعة الإسلامية.

الشريعة في اللغة: مأخوذة من الشرع وهو: البيان والإظهار، فيقال: شرع الله كذا. أي: جعله طريقا ومذهبا[3].

وفي الاصطلاح لها إطلاقان:

الأول: الدين الذي أنزله الله تعالى وأرسل به رسوله ﷺ، فيقال: شريعة الإسلام، أي: دين الإسلام، فهي بهذا مرادفة للدين والملة. وليس هذا الإطلاق مراد هنا.

الثاني: الأحكام العملية التي شرعها الله لعباده فعلا أو تركا رجاء الثواب منه سبحانه.

والشريعة بهذا المعنى تشمل جميع أبواب الفقه، فكلها مما شرعه الله للناس، وبه استقامة أمورهم في دينهم بامتثال ما شرعه الله لهم وتعبدهم به، وفي دينهم بصلاح أحوالهم واستقامة أمور معاشهم وكبح جماح النفوس الظالمة في التعدي على الأنفس والأموال والأعراض، وبهذا تتحقق للناس سعادتهم في الدنيا بامتثالهم لأوامر الله واجتناب نواهيه، وفي الآخرة الفوز بدار كرامته والخلود المقيم في جنته.

الفرق بين الشريعة والعقيدة:

مما سبق يتبين أنَّ العقيدة هي مل مايجب اعتقاده وتصديقه والإقرار به إقرارا جازما، ومحلُّها القلب، أمَّا الشريعة فهي: الأحكام العملية التي كلَّف الله تعالى بها عباده، وهي من أعمال البدن الظاهره.

فالشريعة بالمعنى الخاص جزء من الدين الذي ارتضاه الله تعالى للناس وأنزل به كتابه وأرسل به رسوله ﷺ، وهي بهذا على أحوال: منها ما هو واجب، كأركان الإسلام الخمسة. ومنها: ما هو مستحب وليس بواجب، كالصدقات التطوعية، وتقديم الخدمات، ومساعدة الناس على اختلاف حوائجهم. ومنها: ما هو محرم يجب تركه والابتعاد عنه، كموجبات الحدود الشرعية، والاعتداء على الأنفس أو ما دونها، والاعتداء على الأموال والأعراض. ومنها: ما هو دون ذلك كله مما كرهه الشرع وحث الناس على تركه والابتعاد عنه ولم يعزم عليهم فيه.

---

(١) إذا كان الإخوة من أب واحد وأمهاتهم متعددة يسمون أخوة علات، ومثَّل بهم لأنَّ الأنبياء كلهم على اعتقاد وملة واحدة، وأمَّا شرائعهم متعددة.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٣).

(٣) ينظر: التعريفات(ص١٦٧).

وفيما يلي بيان مجمل لأبرز أصول الشريعة:

أولا: الشهادتان:

تعتبر شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله باب الإسلام، فلا إسلام لمن لم يقرّ بهما بقلبه وينطقهما بلسانه ويعمل بمقتضاهما بجوارحه.

ولأنَّ الشهادتين يقتضيان نطق اللسان وعمل الجوارح صارتا من أصول الشريعة، وفيما يلي بيان معناهما:

معنى شهادة أن لا إله إلا الله

كلمة لا إله إلا الله تتكون من شقين: النفي في قوله: (لا إله)، والإثبات في قوله: (إلا الله)، فقائلها ينفي الألوهية عن كل معبود، ثم يثبتها لمعبود واحد هو الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ البقرة: ٢٥٦، والعروة الوثقى – في قول أئمة التفسير– هي: لا إله إلا الله، التي هي باب الإسلام وأساس الإيمان.

قال إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه مبينا عقيدته في آلهتهم: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ الزخرف: ٢٦ - ٢٧، فتبرأ من كل ما يعبد قومه من دون الله وأثبت العبودية لله وحده الذي خلقه.

ومعنى لا إله إلا الله: أي **لا معبود بحق إلا الله تعالى**. فالناس تتنوع معبوداتهم ولكن المعبود الحق هو الله، وما عُبد من دونه باطل عاجز، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن أن يملكه لغيره ممن يعبدونه.

شروط لا إله إلا الله:

لا يكفى نطق لا إله إلا الله باللسان، بل لا بد من اعتقاد معناها بالقلب، فلذا لابد من تحقيق شروطها؛ ليكون النطق بها حقيقيا، وشروطها سبعة:

الأول: العلم بمعناها، لقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محمد: ١٩.

الثاني: اليقين بما تدل عليه من معنى، لقوله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: **(مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)**[1].

(١) أخرجه مسلم برقم (٣١).

الثالث: القبول لما اقتضته من عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، قال الله تعالى منكرا على من كذَّبوا الرسول ولم يقبلوا التوحيد: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ الصافات: ٣٥ - ٣٧

الرابع: الانقياد لما تضمنته من الأوامر والنواهي، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ لقمان: ٢٢. ومعنى: يسلم وجهه: أي ينقاد لله تعالى.

الخامس: الصدق فيها، بحيث يوافق قلبُه لسانَه، قال ﷺ: (**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**)[1] .

السادس: الإخلاص في قولها بحيث لا يَطلب بها رياء ولا سمعة ولا لينال بها مطمعا من مطامع الدنيا، قال ﷺ: (**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**)[2] .

السابع: المحبة لهذه الكلمة وما دلَّت عليه من معنى، ومحبة أهلها العاملين بها، وموالاتهم والبراءة من كل من يخالفها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ المائدة: ٥٤، قال حافظ حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فأخبرنا الله ﷻ أنَّ عباده المؤمنين أشد حبا له؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا كما فعل مُدَّعو محبته من المشركين، الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه، وعلامة حُبِّ العبد ربَّه تقديم محابِّه وإن خالفت هواه، وبُغض ما يبغض ربُّه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه، وكل هذه العلامات شروطٌ في المحبة لا يُتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها"[3].

معنى شهادة أنَّ محمد رسول الله ﷺ

الشهادة بالرسالة تعني: لا مطاع ولا متبوع بحق إلا النبي ﷺ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: "معنى شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ: طاعتُه فيما أَمرَ، وتصديقُه فيما أَخبر، واجتنابُ ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبدَ اللهَ إلاَّ بما شرَعَ"[4] . قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨).

(٢) المصدر نفسه برقم (٩٩).

(٣) معارج القبول(٢/٤٢٤).

(٤) ينظر: متون طالب العلم-الأصول الثلاثة-(ص٥٨).

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ آل عمران: ٣١ - ٣٢.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مبينا ما تتضمنه شهادة أنَّ محمدا رسول الله: "وأما الرضا بنبيه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يُحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، بل إنَّ الحكم بما أنزل الله تعالى هو معنى شهادة أنَّ محمداً رسول الله"(١) .

ثانيا: إقامة الصلاة:

الصلاة في اللغة: الدعاء. وفي الشرع: أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدَّرة.

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي الفرقان بين المسلم والكافر، كما قال النبي ﷺ: (**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**)(٢) .

والصلوات المشروعة في الإسلام على نوعين:

الأول: الصلوات الواجبة المفروضة:

وهي خمس صلوات في اليوم والليلة: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر. فلا يعذر أحد من المسلمين بالغ عاقل في تركها لأي سبب كان، فقد سأل عمران بن حصين رضي الله عنه النبي ﷺ حين اشتكى مرضا ألـمَّ به فصعبت عليه الصلاة معه، فقال له النبي ﷺ: (**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**)(٣) ، فلم يعذره النبي ﷺ مع ما به من المرض والعجز فدلَّ ذلك على أنَّ الصلاة الواجبة لا يعذر أحد في تركها مادام عقله موجودا.

وقد أوجب الله تعالى على الرجال أداء هذه الصلوات المفروضة في المسجد مع جماعة المسلمين، قال ﷺ: (**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ**

(١) مدارج السالكين(٢/١٧٢، ١٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١١١٧).

مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ)[1] ، وقد بوَّب البخاري على هذا الحديث بقوله: "باب وجوب صلاة الجماعة".

ولما سأله ﷺ رجل أعمى أن يرخص له بالصلاة في بيته رخص له، فلما أدبر سأله: **(هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟)** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **(فَأَجِبْ)**[2] .

ففي هذين الحديثين دليل على وجوب صلاة الجماعة في المسجد على الرجال خاصة دون النساء.

الثاني: الصلوات المستحبة:

الصلوات المستحبة في الإسلام ثلاثة أنواع:

أولها: الصلوات المستحبة استحبابا مؤكدا، كالسنن الرواتب، وصلاة الاستسقاء، والعيدين، والوتر، وصلاة التراويح.

ثانيها: الصلوات المستحبة استحبابا مطلقا، كصلاة ركعتين بعد الوضوء، وصلاة ركعتين بعد آذان المغرب وقبل الفريضة؛ لقول النبي ﷺ: **(صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ الثَّالِثَةِ لِمَنْ شَاءَ)**[3] .

ثالثها: صلوات النوافل المطلقة: وهي التي لم تقيد بعدد معين ولا زمن معين، كصلاة الليل كما في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: **(صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى)**[4] .

ثالثا: الصدقة:

لقد وهب الله تعالى عبادَه الأموال، وجعل له فيها حقوقا يجب أن يؤدوها كما أوجبها، وندبهم بعد ذلك إلى بذل الوسع في أبواب أخرى من الإنفاق، فصارت الحقوق المالية على قسمين:

الأول: الحق الواجب:

لقد تنوعت مصارف الأموال الواجبة، ومن أشهرها:

١. **الزكاة:** وهي في اللغة: الطهارة والنماء، وفي الشرع: إخراج نصيب مقدر شرعا في مال معين لأصناف مخصوصة على وجه مخصوص.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٤) ومسلم برقم (٦٥١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٦٥٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٠٥٥٢)، وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩٩٠) ومسلم برقم (٧٤٩).

والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي واجبة بقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ البقرة: ٤٣، وقال عن عباده المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المعارج: ٢٤ - ٢٥، والحق المعلوم هو المقدار الواجب إخراجه من المال إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول.

٢. **النفقة على الزوجة والأولاد، والوالدين إذا احتاجا**، وأيضا النفقة على من تحت يده ممن تلزمهم نفقتهم من خدم وبهائم وغيرهم، فقد ثبت في الحديث: (**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**)[١] . وقال وهب بن جابر رَحِمَهُ اللَّهُ: قال مولى لعبدالله بن عمرو رضي الله عنه: إني أريد أن أقيم ببيت المقدس هذا الشهر، فقال له عبدالله: تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: فأرجع على أهلك فاترك لهم ما يقوتهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**)[٢]

الثاني: الحق المستحب: وهو الإنفاق المطلق في وجوه البر والخير، كصدقة التطوع، وإعانة المحتاج، وسداد الديون عن المدينين، وهذا باب واسع لا يمكن حصره.

وقد وردت نصوص كثيرة في الحث على بذل الوسع في الإنفاق في وجوه البر والخير، منها ما رواه عدى بن حاتم رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: (**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**)[٣] . وقال ﷺ: (**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**)[٤] ، وكان السلف رحمهم الله لا يخطئهم يوم إلا تصدقوا فيه ولو بتمرة أو بَصَلَة.

رابعا: الصوم :

الصوم في اللغة: الإمساك. وفي الشرع: الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس امتثالا لله تعالى.

والصوم من العبادات المشروعة في الإسلام، بل وفي الشرائع السابقة أيضا، وهو في الإسلام من حيث الحكم على حالين:

أولهما: الصوم الواجب: وهو صوم شهر رمضان، فقد أوجب الله تعالى على كل مسلم بالغ عاقل قادر أن يصوم شهر رمضان لله تعالى، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٩٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٨٤٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠١٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند بإسناد صحيح برقم (١٧٣٣٣).

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ البقرة: ١٨٣، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة: ١٨٥.

ووعد من صامه إيمانا واحتسابا بمغفرة ذنوبه السابقة، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ حين قال: (**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)[١].

وثانيهما: الصوم المستحب: كصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الاثنين والخميس، وصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، وأفضل الصوم المستحب صيام يوم وإفطار يوم، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال: (**أَفْضَلَ الصِّيَامِ عِنْدَ اللهِ، صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**)[٢].

وإنَّ المقصود من مشروعية الصوم تعويد العبد على تقوى الله عز وجل، فالصيام له معنيان:

الأول: صيام العبد عن المفطرات الحسية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وفي هذا تعويد للإنسان على كبح شهوته عن الطعام والشراب وغيرهما إرضاء لربه عز وجل، فيدفعه ذلك إلى كبح سائر شهواته عما حرم الله تعالى، ويلزم نفسه طاعة ربه، فيعمل بما شرعه الله له وينتهي عما نهاه عنه، فيكون بذلك وقافا عند حدود الله.

والثاني: صيام سائر الجوارح عما حرم الله عليها، فكما صام البدن عن الطعام والشراب وسائر المفطرات الحسية مع حبه لها ورغبته فيها فكذلك تصوم سائر الجوارح عن كل ما حرم الله امتثالا لأمره سبحانه، فقد ثبت في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: (**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**)[٣].

فإذا لم تصم العينُ عن النظر إلى المحرم عليها، والأذن عن استماع المحرم، واليد عن تناول المحرم عليها، والقدم عن السير إلى ما حرم الله، وسائر الجسد عن ارتكاب ما حرم الله وإلا كأنه لم يصم، إذ لم تتحقق فيه مقاصد الصيام كما أرادها الله عز وجل.

خامسا : الحج والعمرة:

شرع الله تعالى للمسلمين زيارة بيته المعظم بمكة المكرمة، وهي شعيرة من شعائر الدين جاء بها الأنبياء عليهم السلام جميعا، فقد أخرج مسلم عن اب‌عليه السلام ن عباس ط أنَّ النبي ﷺ مرَّ بوادي الأزرق، فقال: (**أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**) فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: (**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ**)، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى، فَقَالَ: (**أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟**) قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى،

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٣٨) و مسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٧).

قَالَ: (**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ**[1] **وَهُوَ يُلَبِّي**)[2].

وقد أوجب الله تعالى على المسلمين قصد مكة للحج والعمرة مرة واحدة في العمر كما قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ آل عمران: ٩٧، وما زاد عن ذلك فهو تطوع مستحب، فقد سأل الأقرع بن حابس رضي الله عنه النبي ﷺ عن الحج: أفي كل سنة، أو مرة واحدة؟ فقال: (**بَلْ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**)[3].

وورد في الحديث أيضا الحث على الإكثار من الحج والعمرة للمستطيع فقال ﷺ: (**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ**)[4].

ومنافع الحج قسمان: دينية ودنيوية. فالدينية: ما يدركه العبد من لذَّة التقرب إلى الله بالطاعة، وما يناله من ثوابه وجنته في الآخرة، أما الدنيوية: فتعويده الاستعداد لطاعة الله دائما، فهو في الحج يخرج من بلده وأهله، وينزع ما اعتاده من لباسه، ويتخفف من المتاع والمظاهر والمراكب، وفي ذلك أعظم موعظة للمؤمنين، إذ خروجهم للحج على هذا الحال وهم شعث غبر ليس عليهم من اللباس إلا القليل ولا من المتاع إلا القليل يذكرهم بخروجهم من الدنيا واستقبالهم الآخرة وليس معهم من دينهم إلا العمل الصالح، فيكون في ذلك موعظة لهم تدفعهم إلى إحسان العمل والاستعداد ليوم المعاد.

هذه جملة من أحكام الشريعة المتعلقة بالأركان الخمسة العملية، وسيتبعها الحديث عن الجانب الثاني من الشريعة وهو جانب القيم والأخلاق والآداب[5].

---

(١) الخُلبة: الحبل المصنوع من الليف. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(ص٢٧٦).

(٢) حديث رقم (١٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٧٢١) وصححه الألباني.

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٨١٠) وقال: حديث صحيح، ووافقه الألباني.

(٥) الأخلاق والقيم والآداب جزء من الشريعة وقسم منها وليست قسيمة لها، وإنما تُفرد بالذكر والبيان للتأكيد على أهميتها.

القسم الثالث

القيم والأخلاق والآداب الإسلامية

الوحدة الأولى: مدخل للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية.

الوحدة الثانية: القيم الإسلامية

الوحدة الثالثة: أصول الأخلاق:

الوحدة الرابعة: الآداب الإسلامية العليا.

الوحدة الخامسة: قواعد في الآداب الإسلامية الاجتماعية.

الوحدة السادسة: أخلاق المهنة، وطرق اكتساب الأخلاق.

الوحدة الأولى

المدخل للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية

تعريف القيم الإسلامية:

القيم في اللغة: جمع قيمة، وهي كل ما له قدر سواء كان ماديا كقيمة المبيع، أو معنويا، كقولهم: قيمة المرء ما يحسن. وتطلق ويراد بها: العَدل، والحُسن، والاستقامة[(١)].

وفي الاصطلاح: الصفات الحميدة التي حثَّ عليها الشرع؛ لتدفع الإنسان نحو الإيجابية والرقي في ذاته وفكره وتميزه السلوكي.

تعريف الأخلاق الإسلامية:

الأخلاق في اللغة: جمع خلق، ويطلق على: الطبع، والسجية[(٢)].

وفي الاصطلاح: هيئة -طبيعة- للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية[(٣)].

ومن هذا التعريف يتبين أنَّ الأخلاق طبيعة قائمة بالنفس البشرية، تصدر عنها الأقوال والأفعال، فإن كانت جميلة وُصفت بالحسنة، وإن كانت قبيحة وُصفت بالسيئة، لذا فإنَّ من تكلَّف الخلق الحسن

---

(١) ينظر: كتاب العين (٢٣٣/٥)، القاموس المحيط (ص١٤٨٧)، لسان العرب (٤٩٦/١٢).

(٢) ينظر: لسان العرب (٨٥/١٠).

(٣) ينظر: التعريفات، (ص١٣٥).

وليس هو طبيعة راسخة فيه لا يوصف به، كمن يتكلف الكرم ويجبر نفسه عليه فلا يوصف بالكريم، ومن تكلَّف كفَّ نفسه عند سَوْرَةَ الغضب لا يوصف بالحلم؛ بل لا يوصف بالخلق إلا من كان الخلق طبيعة راسخة في نفسه.

تعريف الآداب الإسلامية:

الآداب: جمع أدب، وهي محاسن الأخلاق التي تدفع لاكتساب الفضائل[١].

العلاقة بين القيم والأخلاق والآداب:

إنَّ القيم والأخلاق والآداب منشؤها واحد، وبينها تداخل كبير، إلى درجة التجاوز اللفظي بإطلاق أحدها على بقيتها، ولكن يمكن التفريق بينهما بما يلي:

الأول: أنَّ القيم كلها حسنة فاضلة، وأمَّا الأخلاق فمنها الحسن كالصبر والتواضع والشجاعة، ومنها القبيح السيء كالكبر والجبن والخيانة[٢] .

الثاني: القيم كليات كبرى تحققها مجموعة من الأخلاق، بينما الأخلاق مفردة، فالقيم على هذا أعمُّ من الأخلاق وأشمل، كالصدق يُعدُّ قيمة لأنَّه لا يتحقق إلا باتصاف الإنسان بالإخلاص لله، والقوة على ضبط النفس، والشجاعة على قوله وإن كان غير مقبول من الآخرين، فهو قيمة تتحقق عن طريق مجموعة من الأخلاق الفاضلة، وهكذا سائر القيم.

الثالث: أنَّ الآداب تطلق غالبا على الجانب العملي التطبيقي من الأخلاق، فيقال: آداب الحديث، وآداب الطعام، وآداب السفر ونحوها. وهذا لا ينطبق على القيم ولا الأخلاق.

ويتبين من هذا أنَّ القيم والأخلاق والآداب يختص كل منها بجانب واحد مما ينبغي على المسلم أن يتحلى به من الفضائل، ويطلق على جميعها أخلاق تجُّوزا، قال الخراز مبينا موضوع الأخلاق: (هو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه، وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد)[٣].

خصائص القيم والأخلاق الإسلامية:

إنَّ لكل أمَّة قيمها التي تعتز بها، وتسعى على ترسيخها لدى أتباعها، فيتوارثها الناس جيلا بعد جيل، وبها تُغرس معاني الولاء لعقيدة وثقافة أربابها، فتصير مميزا من مميزات الأمم والشعوب.

---

(١) ينظر: المصباح المنير(ص١٠).

(٢) ينظر: محاضرة القيم الأخلاقية وأثرها في تحقيق الوحدة الوطنية، للشيخ ابن بيه، https://www.youtube.com/watch?v=wDcnkYxJZbI

(٣) موسوعة الأخلاق(ص٢٢).

أمَّا القيم والأخلاق في الإسلام فشأنها مختلف جدا؛ إذ إنها تنفرد بخصاص وسمات لا يشاركها فيها غيرها من الأمم، ومن أبرز خصائصها أنَّها:

١) ربانية، أي أنَّ الذي شرعها وحكم بحسنها وحثَّ على امتثالها والاتصاف بها وتطبيقها هو الله تعالى، في حين أنَّ غالب القيم السائدة في العالم نتاج أفكار البشر وتراكم تجاربهم الحياتية، فلا يوجد لها مصدر ثابت تنهل منه ما يغذي قيمها الروحية أو المادية على حدٍّ سواء.

٢) تعبدية، فكل القيم والأخلاق الإسلامية يُطلب القيام بها شرعا، إمَّا طلب وجوب أو استحباب، ومن قام بها استحق الأجر والثواب على ذلك من الله تعالى.

بالإضافة إلى أنها تجعل المسلم مسؤولا عن تصرفاته في الدنيا والآخرة، فحسن الخلق عاقبته الحمد في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، والسيء مذموم في الدنيا ومتوعد عليه في الآخرة، إذ إنَّ القاعدة الشرعية تنص على أنَّ كل عمل ورد الحث عليه في الشرع وترتب على فعله امتثالا ثواب في الآخرة، وعلى تركه إن كان من المنهيات الثواب فهو عبادة، وقد روى أبو ذر ﷺ عن النبي ﷺ أنواعا من الأخلاق التي أثبت الأجر لعاملها فقال: (**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلاَلِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ، وَالشَّوْكَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**)[1] .

فالمسلم مسؤول في الدنيا عن كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، كالقذف والسب والشتم ونحوها، وهو محاسب في الآخرة عما يصدر عنه من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾** ﴾ الإسراء: ٣٦

وقد سأل النبي ﷺ أصحابة عن المفلس؟ فقالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال رسول الله ﷺ: (**المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**)[2] .

٣) ثابتة راسخة، فهي لا تتغير ولا تتبدل مع مرور الزمان حتى وإن اختلفت الأعراف البشرية وتبدلت أنماط الناس الحياتية، فثباتها بثبات أدلَّتها الشرعية، وهي محفوظة بحفظ الله لدينه وكتابه، ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا**

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(١٩٥٦)، وقال: حديث حسن. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي برقم(٢٤١٨) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني.

﴿ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ الحجر: ٩، فالخلق الحسن سيبقى حسنا إلى قيام الساعة، والسيء كذلك.

٤) واقعية يمكن فهمها وإدراك المطلوب امتثاله منها، فهي ليست خيالية مجردة يصعب إدراكها إلا من فئة قليلة من الناس؛ بل الكبير والصغير والذكي والبليد يدرك المطلوب امتثاله منها.

٥) عملية، والمقصود أنَّها قابلة للامتثال والتطبيق، فليست قيما نظرية ترددها الألسن ثم لا تؤثر في واقع الإنسان وفكره وسلوكه شيئا.

أهمية القيم والأخلاق والآداب الإسلامية:

إنَّ للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية أهمية كبيرة للفرد المسلم والمجتمع المسلم كذلك، ومن أبرز جوانب أهميتها للفرد مايلي:

١) أنَّها تسهم في تشكيل الشخصية الإسلامية بتحديد أهدافها وغاياتها التي تسعى إليها ويجب أن تحافظ عليها.

٢) تقوية جوانب الضعف عند المسلم، وتمنعه من التأثر بما يطرأ له من تحديات تنازعه للتخلي عن قيمه وأخلاقه. فعن معاذ بن أنس الجهني ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: (**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ**)[١].

٣) إكساب الفرد معيارا حقيقيا ودقيقا يميز به بين الصواب والخطأ. فعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: (**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**)[٢].

٤) إصلاح الفرد من الناحية النفسية، وتوجيهه نحو حبّ الخير والإحسان إلى الآخرين. فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**)[٣]. وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله، دلَّني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: (**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**)[٤].

٥) تساعده على ضبط هواه والتحكم في شهواته فلا يصدر عنه إلا ما يرضي ربه. فعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: (**مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ**

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه، برقم(٢٠٢١)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم برقم(٢٥٥٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٣)، ومسلم برقم(٤٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم(٤١٠٢)، وصححه الألباني.

عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ)[1] .

٦) تدفع الإنسان لاحتساب الأجر في جميع أعماله الدينية والدنيوية، لعلمه أن مراعاته لقيم الإسلام وآدابه وأخلاقه مما يؤجر عليه، فقيمة التعبد مثلا ستدفعه لاحتساب الأجر حتى في أمور معاشه، فعن كعب بن عجرة ﷺ قال: مرَّ على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب النبي ﷺ من جَلَده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله! فقال رسول الله ﷺ: **(كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)**[2] .

وأمَّا أهميتها للمجتمع فبما يلي:

١) نشوء الأخوة الإسلامية القائمة على المحبة والرحمة بين أفراد المجتمع، فعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[3] . وعن ابن عمر ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)**[4] .

٢) توحيد المجتمع على قيم ثابتة فتعلوه الصبغة الإسلامية الصحيحة، وتحافظ على وحدة عقيدته وسلوكه وفق ما يريده الله تعالى، قال أبو سفيان ﷺ جوابا لملك الروم لما سأله عمَّا يأمرهم به النبي ﷺ: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصدق، والعفاف، والصلة[5] .

٣) تعين المجتمع على مواجهة التحديات التي تطرأ عليه؛ وذلك بإرشاده للخيارات الصحيحة التي ينبغي سلوكها لبقائه واستقراره.

٤) حماية المجتمع من الأدواء الفكرية والأخلاقية المتنوعة، كالأنانية، والظلم، والفخر والخيلاء، وغيرها. قال تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم**

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم(٢٧٦)، وحسنه الأرناؤوط.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٩٨٩)، ومسلم برقم(١٠٠٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم(٢٥٨٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٤٤٢)، ومسلم برقم(٢٥٨٠).

(٥) أخرجه البخاري برقم(٧).

بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣.

٥) بناء منهج اجتماعي متكامل للتعامل بين أفراد المجتمع على وفق ماشرعه الله تعالى دون تعد أو تقصير، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**)[1].

العلاقة بين الأخلاق والعقيدة والشريعة:

سبق أن بينت أنَّ دين الإسلام مكوَّن من عقائد وشرائع، ويندرج تحت الشرائع: الأحكام والأخلاق، والترابط بينها قوي، فلا يمكن النظر للعقيدة بمعزل عن الأحكام والأخلاق، ولا النظر إلى الأحكام بمعزل عن الاعتقاد والأخلاق، وكذلك لا يمكن النظر إلى الأخلاق بمعزل عن العقائد والأحكام.

وذلك لأنَّ قدرا كبيرا من الشريعة جاء لتنظيم العلاقات والتعاملات بين الناس، وهذا كثير جدا في المعاملات، والأنكحة والعشرة بين الأزواج، والعلاقة مع الأقارب والجيران، وكذلك العلاقة مع سائر أفراد المجتمع من المسلمين وغير المسلمين.

القول بنسبية الأخلاق:

زعم الفلاسفة القائلون بالنظرية النسبية أنَّ الأخلاق نسبية، فما كان مذموما عند قوم قد يكون محمودا عند آخرين، وما يبغضه شعب يحبه شعب آخر، وما يعتبر منافيا للأخلاق عند أمة فليس بالضرورة أن يكون منافيا لها عند كل الأمم، فالأخلاق عندهم مفاهيم تتفق عليها الأمم حسب حاجتهم في كل زمان وليس لها ثبات حقيقي.

وإذا تأملنا جنوحهم إلى هذا الشذوذ الفكري وجدنا أنَّ له سببان:

الأول: تعميم أسم الأخلاق على كل ما يصدر عن الإنسان دون تمييز بين ما هو من الأخلاق حقيقة وما هو من التصرفات الخاصة أو الأخطاء الواقعة، أو الأحكام الدينية التي تختلف فيها الأمم كل بحسب عقيدتهم.

الثاني: اعتمادهم على مدى رضا الناس عن الفعل، فما رضيه الناس أو بعضهم وقبلوه فهو خلق حسن، وما رفضوه فهو خلق سيئ. ولا يخفى ما في هذا من الجنوح عن الوحي، وإقصاء الدين إقصاء تاما، إذ لم يجعلوا له علاقة بالأخلاق أبدا، لا في تحديدها ولا في الموقف منها.

أمَّا الإسلام فإنَّه قد جعل الضابط لاعتبار الأخلاق حسنة أو قبيحة هو مدى محبة الله لها أو

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٢٥٦٤).

بغضه إيَّاها، فما رضيه وشرعه وحث عليه ووعد بالأجر لمن أمتثله فهو خلق حسن، وسيبقى حسنا، وما نهى عنه وحذَّر منه وتوعد عليه فهو سيء وسيبقى سيئا ما بقي الإسلام والقرآن.

الوحدة الثانية

القيم الإسلامية

تمهيد:

يحسن بنا قبل البدء بسرد نماذج من القيم أن نبيِّن أنواع القيم في الإسلام، ومن ثمَّ نذكر نماذج منها.

أنواع القيم الإسلامية:

تنقسم القيم الإسلامية إلى نوعين رئيسين:

الأول: القيم الإسلامية العليا، وتشمل القضايا الرئيسة التي تحتلُّ المرتبة الأولى في عناية الشريعة بها، كصحة العقيدة والتعلق بالله تعالى، والعبادة التي هي الغاية من خلق الله للخلائق، والحق الذي أنزلت الكتب لتقريره، والإحسان الذي كتبه الله على كل شيء، والحكمة التي تدفع المسلم لوضع الأمور في مواضعها، والرحمة التي تكفَّل الله برحمة أهلها، والصدق الذي يهدي إلى جميع أنواع البر...إلخ

والثاني: القيم الإسلامية الحضارية: وهي التي تميز المسلم في سلوكه وتصرفاته وتدفعه للقيام بمهمة وجوده في الأرض، كالاستخلاف، والمسؤولية، والنظام والانضباط، والنظافة...إلخ.

وفيما يلي نذكر نماذج من كل قسم من أقسام القيم الإسلامية:

النوع الأول: نماذج من القيم الإسلامية العليا

القيمة الأولى: العبادة.

تعريفها: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[1] .

وهي الغاية التي خلق الله الثقلين لأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات:٥٦، وهي شاملة لجميع حياة الإنسان وتعاملاته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ الأنعام:١٦٢.

وهذه القيمة قد اتفقت جميع دعوات المرسلين عليها، بل هي المقصد الأول من إرسالهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ ٥٢. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٦٣.

ولا يكون العبد مستحقاً لوصف العبودية إلا بتوفُّر أصلين عظيمين: الإخلاص فيها لله تعالى، ومتابعة الرسول ﷺ في فعله.

فترك الإخلاص لله يؤدي إلى صرف العبادة عن مستحقها إلى غيره من: الأنبياء أو الملائكة أو الأولياء أو غيرهم، وهو أعظم الشرك.

وترك المتابعة للنبي ﷺ فيقود إلى الابتداع في الدين، وهو كثير في باب العبادات، حيث ظهرت عبادات لم يأذن الله تعالى بها، ولم يشرعها رسوله ﷺ لأمته، فظهرت بذلك هيئات وصور متعددة للعبادات والأوراد والأذكار، كلها مبتدعة، سواء أكان ذلك في كيفيتها، أو كمِّها، أو هيئتها، أو طريقة أدائها، أو زمانها، أو مكانها، وهذه كلُّها مردودة على أصحابها، لأنَّها تشريع لم يأذن به الله، ولم يرد عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ الشورى: ١٢، ولقوله ﷺ: (**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**)[2].

وبناء على ما سبق فإنَّ كلَّ ما ثبت كونه عبادة لله تعالى فصرفه لغير الله شرك به، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

والعبادة الحقَّة هي التي تجمع بين المحبة والخوف والرجاء، فهذه الثلاثة هي محركات القلوب، ولهذا قال من قال من السلف: "من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري (أي خارجي)؛ ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد"[3].

وبالعبادة يحصل العبد على السعادة وانشراح الصدر في الدنيا، والأمن والسعادة الأبدية في الآخرة، يقول ابن القيم رحمه الله: "ولا تظن أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ الانفطار: ١٣ – ١٤

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى(١٠/١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٢٥٥٠)، ومسلم برقم(١٧١٩).

(٣) مجموع الفتاوى(١٠/٨١).

يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأيُّ لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برِّ القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرَّب تعالى، ومحبته، والعمل على موافقته!، وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم"[١].

أقسامها وأنواعها:

لقد جاء الوحي ببيان الأوامر والنواهي التي تعبَّد الله تعالى بها الناس، وجعل امتثال الأوامر واجتناب النواهي هو مضمون العبادة التي خلقوا لأجلها، وبناء على هذا فإنَّ العبادات تنقسم إلى قسمين: عبادات فعليه، وعبادات تركية، وتحت كل واحد منهما أنواع فيما يلي بيانها:

أولا: العبادات الفعلية: وهي التي طلب الشرع من الناس امتثالها، سواء كان ذلك الطلب على سبيل الإلزام أو الحث والترغيب دون إلزام بها[٢].

ثانيا: العبادات التركية: وهي التي طلب الشرع تركها واجتنابها، سواء كان الطلب على سبيل الإلزام أو مجرد الحث والترغيب فيه[٣].

وتحت هذين القسمين تندرج أنواع كثيرة من العبادات، وهي على ما يلي:

١) العبادات القلبية: كتوحيد الله ومحبته والخوف منها ومراقبته والتوكل عليه، والكفر بما يعبد من دونه، وتطهير القلب من التعلق بغيره.

٢) العبادات القولية: كالنطق بالشهادتين، وقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطهير اللسان من الكذب والغيبة والنميمة، والسخرية والاستهزاء بالمؤمنين.

٣) العبادات البدنية: كالصلاة والصوم، وترك الزنا وشرب الخمر.

٤) العبادات المالية: كالزكاة والنفقة على الأهل والقرابة، وترك السرقة والرشوة والإسراف والتبذير.

تنبيه:

إنَّ من أعظم الانحراف في مفهوم العبادة اليوم حصرها في أركان الإسلام الخمسة، أو في الشعائر التعبدية فقط، وهذا خلل كبير في مفهوم العبادة، فالواجب على كل مسلم أن يعلم أنَّه ما خُلق إلا للعبادة، وأنَّ وقته يجب أن يكون في عبادة، فكل ذلك يجب أن يمارسه الإنسان ونية التعبد لله ﷻ تصاحبه، فيراقب ربه فيها، وينوي بها التقرب إليه تعالى والاستعانة بها على طاعته.

---

(١) الجواب الكافي (ص ٨٤).

(٢) المطلوب فعله على وجه الإلزام: الواجب، وبغير إلزام: المستحب.

(٣) المطلوب تركه على وجه الإلزام: المحرم، وبغير إلزام: المكروه.

القيمة الثانية: الإحسان

تعريفه: الإحسان: ضد الإساءة، وهو فعل ما ينبغي فعله من الخير والمعروف[١].

أنواعه: الإحسان الصادر عن العبد نوعان:

الأول: إحسان العبد فيما بينه وبين الله تعالى: وهو الجدُّ في العبادة وإتقانها ومراقبة الله تعالى فيها، فالإحسان فيها يكون بأن تؤدِّى أداءً صحيحًا، باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها، وهذا لا يتمُّ للعبد إلَّا إذا كان شعوره قويًّا بمراقبة الله ﷻ له، حتى كأنَّه يراه ويشاهده، أو على الأقلِّ يُشعر نفسه بأنَّ الله تعالى مطَّلع عليه، وناظرٌ إليه، فبهذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته ويتقنها، فيأتي بها على الوجه المطلوب، وهذا ما أرشد إليه النبي ﷺ جوابا لسؤال جبريل عليه السلام عنه، فقال: **(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)**[٢]. فأراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحُسن الطَّاعة، وإتقان العبادة؛ فإنَّ من راقب الله أحسن عمله.

والثاني: إحسان الإنسان فيما بينه وبين الخلق، ببذل المعروف، وتقديم النفع والخير لهم، فيكون للوالدين ببرِّهما في المعروف، وطاعتهما في غير معصية الله، وإيصال الخير إليهما، وكفِّ الأذى عنهما، والدُّعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما.

وهو للأقارب ببرِّهم وصلتهم ورحمتهم والعطف عليهم، وفعل ما يَجْمُل فعله معهم، وترك ما يسيء إليهم. ولليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتأديبهم وتربيتهم بالحسنى، والمسح على رؤوسهم ورحمتهم والشفقة عليهم.

وللمساكين بسدِّ جوعهم، وستر عورتهم، وعدم احتقارهم وازدرائهم، وعدم المساس بهم بسوء، وإيصال النَّفع إليهم بما يستطيع. ولابن السَّبيل بقضاء حاجته، وسدِّ خلَّته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته، وهدايته إن ضلَّ، وإرشاده إن استرشد.

وهو للخادم بإعطائه أجره قبل أن يجفَّ عرقه، وعدم إلزامه بما لا يلزمه، أو تكليفه بما لا يطيق، وصون كرامته، واحترام شخصيَّته.

وهو لعموم النَّاس بالتَّلطُّف معهم في القول، والسماحة في المعاملة، وإرشاد ضالِّهم، وتعليم جاهلهم، والاعتراف بحقوقهم، وإيصال النَّفع إليهم، وكفِّ الأذى عنهم.

والإحسان يتجاوز البشر إلى الحيوان، ويكون ذلك بإطعامه إن جاع، ومداواته إن مرض، وعدم تكليفه ما لا يطيق، والرِّفق به عند العمل، وإراحته عند التعب.

---

(١) المفردات في غريب القرآن(ص ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٥٠)، ومسلم برقم(٩).

وهو في الوظائف والأعمال بإجادتها وإتقان صنعتها وأعمالها ومسؤولياتها، وبتخليص سائر الأعمال مِن الغش، والتدليس...وهكذا[١]

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الإحسان نوعان: إحسان في عبادة الخالق: بأن يعبد الله كأنَّه يراه فإن لم يكن يراه فإنَّ الله يراه. وهو الجِدُّ في القيام بحقوق الله على وجه النُّصح، والتَّكميل لها، وإحسانٌ في حقوق الخَلْق... وهو بذل جميع المنافع مِن أيِّ نوعٍ كان، لأيِّ مخلوق يكون"[٢] . وقال الراغب الأصفهاني: "الإحسان: فعل ما ينبغي فعله من المعروف، وهو ضربان: أحدهما: الإنعام على الغير، والثّاني الإحسان في فعله وذلك إذا عَلِم عِلما محمودا، وعَمِل عملا حسنا"[٣].

أبرز ثمراته[٤]:

إنَّ لقيمة الإحسان ثمرات يجنيها المحسن في ذاته، وينتفع بها المجتمع من حوله، وفيما يلي بيان أهم الفوائد التي تعود على الفرد والمجتمع من امتثالهم لهذه القيمة:

١) أنَّ الله تعالى يكون في معية المحسن، ومن كان الله معه فإنّه لا يخاف بأسا ولا رهقا. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ النحل: ١٢٨. وهذه المعية تكون بعلم الله لحاله وحفظه له ونصرته إيَّاه وخذلان أعدائه.

٢) نوال محبَّة الله ﷻ له، قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ البقرة: ١٩٥.

٣) قرب المحسن من رحمة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ الأعراف: ٥٦.

٤) لبعض أنواع الإحسان ثمار خاصَّة تعود على المحسن بالخير العميم في الدّنيا والآخرة، فمن ذلك:

أ- إحسان الوضوء للصلاة والخشوع فيها وإتمام وركوعها وسجودها يكفِّر السيئات الماضية، ويستمرُّ تكفير السيات ما استمرَّ الإحسان، فعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**)[٥] .

ب- الإحسان إلى الجيران علامة صادقة على حسن إسلام المرء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ**

---

(١) ينظر: منهاج المسلم (ص١٣١).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص ١٢٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن(ص ٢٣٦).

(٤) ينظر: نضرة النعيم (٢/٩٠) بتصرف.

(٥) أخرجه مسلم برقم(٢٢٨).

لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ)[1] .

ج- إحسان المرء في تربية بناته ورزقهنَّ وكسوتهن يجعلهن سترا له من النَّار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثمَّ قامت فخرجت، فدخل النَّبيُّ ﷺ فحدَّثته، فقال: (**مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**)[2] . كما أنَّ في الإحسان إلى النِّساء القريبات في الكسوة والطعام والخدمة والرعاية وما أشبه ذلك من أنواع القيام بشؤونهنَّ يثمر الترابط الأسري، ويحقِّق الاستقرار العائلي، الذي هو مطمح كل ربِّ أسرة.

٥) أنَّ الدفع بالتي هي أحسن- وهو أحد صور الإحسان- يقضي على العداوات بين النَّاس ويُحيلها صداقة حميمة ومودَّة رحيمة، فتنطفيء بذلك نار الفتن وتنتهي أسباب الصّراعات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فصلت: ٣٤. أمَّا الدَّفع بالسيئة، أي: مقابلة السيئة بمثلها فإنَّه يؤدِّي إلى تدهور العلاقات وإشعال نيران الفتن وتفاقم أسباب الصِّراع ويهبط بالنّوع البشريِّ إلى حضيض التَّخلُّف ويعرِّض بقاءه لخطر الفناء. قال الشاعر:

إن كنتَ تطلبُ رُتبةَ الأشرافِ فعليك بالإحسانِ والإنصافِ
إذا اعتدى خِلٌّ عليكَ فخلِّهِ والدَّهرَ فهو له مكافٍ كافِ

٦) الإحسان وسيلة لاستمالة القلوب وغرس المحبة والألفة، وإزالة ما في النُّفوس من الكدر وسوء الفهم وسوء الظَّنِّ، ونحو ذلك.

أحسِن إلى النّاس تستعبد قلوبهمُ فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

القيمة الثالثة: الصدق

تعريفه: لغة: ضد الكذب، وهو مطابقة الحكم للواقع[3] . والصدِّيق: الذي يحقق بفعله ما يقوله

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٥)، وابن ماجه برقم (٤٢١٧) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم(٥٦٤٩).

(٣) لسان العرب (١٩٣/١٠)، التعريفات (ص١٧٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢/٥).

والصِّدِّيقية هي: كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمُرسِل"[1]. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ النساء: ٦٩، وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ ﴾ الحديد: ١٩.

أنواعه:

الصدق ثلاثة أنواع:

الأول: الصدق مع الله تعالى، ويكون بالتعلق به والإخلاص له في الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فإذا قام به العبد استحق ولاية الله ونصرته وإجابته لدعوته، فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنَّه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض قومه أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم. فقال الرجل: كفى بالله شهيدا. قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلا. قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجَّله فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنَّك تعلم أنِّي كنت تسلَّفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وأنِّي جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلَّ مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا، فلمَّا نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه. قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشدا)[2] .

الثاني: الصدق مع النبي ﷺ، ويكون بصدق الاتباع له، وتطبيق سنَّته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه عليه السلام.

الثالث: الصدق مع الناس، ويكون بصدق الأخبار، وحسن التعامل، والنصيحة، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، والقيام بالحقوق.

ولا تتحقق قيمة الصدق إلا بامتثال الأنواع الثلاثة، ويكون ذلك بالقول والفعل والحال، قال ابن القيّم رحمه الله مبينا ذلك: "والصّدق ثلاثة: قولٌ، وعملٌ، وحالٌ، فالصِّدق في الأقوال: استواء اللِّسان على

(١) مدارج السالكين (٢/٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٢٢٩١).

الأقوال كاستواء السُّنبلة على ساقها. والصّدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد. والصِّدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة.

فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصِّدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صدِّيقيَّته كما فعل أبو بكر رضي الله عنه"[1].

وقد حث الله في آيات كثيرة في القرآن الكريم على التحلي بالصدق والعمل به، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ التوبة: ١١٩. وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ المائدة: ١١٩، وقال تعالى: ﴿* فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الزمر: ٣٢ – ٣٣، قال السعدي في تفسير قوله: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ "أي: في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أي: بالصدق؛ لأنَّه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدِّق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلابد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره"[2].

وقد قيل:

عوِّد لسانك قول الخير تحظَ به ... إنَّ اللسان لما عوَّدتَ معتادُ

موكلٌ بتقاضي ما سننتَ له ... فاخترْ لنفسك وانظر كيف ترتادُ

أبرز ثمراته:

إنَّ لقيمة الصدق منزلة عظيمة في الإسلام، ولها ثمار تظهر على أصحابها، ومن أبرز تلك الثمار مايلي:

١) سلامة المعتقد: فالاعتقاد الصحيح مبني على التصديق بالحق قولا وعملا وحالا، فيسلم صاحبه من لوثات الشرك، ومظاهر البدعة في الدين.

٢) الثبات على الحق والاستقامة على الدين، إذ الصدق يدفع صاحبه للتمسك بدينه: عقيدة وشريعة،

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٥٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٢٤).

عبادة ومعاملة، سلوكًا وهديًا؛ فالتزامه بدينه ثابت راسخ غير متذبذب ولا متردد، لا تغويه الشبهات، ولا تغريه الشهوات، ولا تستزله الفتن، ولا تزلزله المحن، يأخذ الدين كلَّه، لا أن ينتقي منه ما تهواه نفسه ويترك ما لا تريده، عملا بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ البقرة:٢٠٨. والسلم في الآية: الإسلام.

٣) طمأنينة النفس واستشعارها للصدق بناء على ما جُبلت من محبة الصدق وأهله، قال النبي ﷺ: (**دَعْ مَا يَرِيبُكَ، إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**)[١] . والمقصود الرجوع إلى ما تشعر به القلوب الطاهرة والنفوس الصافية عند الاشتباه، فإنَّ نفس المؤمن جُبلت على الطمأنينة إلى الصدق، والنفرة من الكذب[٢] .

٤) حصول البركة في البيع والشراء وسائر المعاملات، فقد قال النبي ﷺ (**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، – أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا – فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**)[٣] . فاشترط لحصول البركة في المعاملة الصدق والتبيين لما في السلع من العيوب ونحوها مما يحتاج إلى صدق وبيان للطرف الآخر، وأن محقها مترتِّب على ضدهما وهو الكذب[٤] .

٥) حُبُّ الصالحين وصحبة الصادقين: فإنَّ من آثار الصدق في القلوب ضيقها من صحبة أهل الكذب والغفلة، ولا يصبر على مخالطتهم إلا لضرورة من دين أو دنيا؛ لأنَّ (**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**)[٥] ، ولهذا أمر الله نبيَّه ﷺ بصحبة الصالحين وحذَّره من أهل الغفلة فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ الكهف: ٢٨، فمجالسة الصالحين نعمة يستعين بها المرء للوصول إلى رضا ربه.

٦) الوفاء بالعهود والقيام بالحقوق الواجبة على الوجه الأكمل، وذلك أنَّ الصادق التزم الصدق في كل شيء، وهذه من أبرز ما يظهر فيها امتثاله لما التزم به.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(٢٥١٨)، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: تطريز رياض الصالحين (ص٥٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٧٣)، ومسلم برقم (١٥٣٢).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٣١١/٤).

(٥) مسند الإمام أحمد برقم (٨٠١٥)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد.

الوحدة الثالثة

النوع الثاني: نماذج من القيم الإسلامية الحضارية

القيمة الأولى: التفاؤل:

تعريفه: في اللغة: ضد التطير والتشاؤم، والفأل الصالح: الكلمة الحسنة.

والفرق بين الفأل والطيرة أنَّ الطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وأمَّا الفأل فيكون فيما يحسن وفيما يسوء[١]، ولكن غلب استعماله في الأمور الحسنة. قال ابن عباس ﷺ: (الفرق بين الفأل والطيرة أنَّ الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء؛ فلذلك كرهت)[٢].

وفي الاصطلاح: انشراح قلب الإنسان، وإحسانه الظن، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح الطيب[٣].

التفاؤل في حياة النبي ﷺ:

روى أنس بن مالك ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**). قالوا: وما الفأل؟ قال: (**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**)[٤]. وقال الحليمي رحمه الله: "كان النبي ﷺ يعجبه الفأل؛ لأنَّ التشاؤم سوء ظن

---

(١) ينظر: لسان العرب (٥١٣/١١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢١٥/١٠).

(٣) ينظر: نضرة النعيم (١٠٤٦/٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٤٠)، ومسلم برقم (٢٢٢٤).

بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال"[1].

وكان النبي ﷺ في حياته العملية أعظم الناس تفاؤلا وحسن ظن بالله حتى في أحلك الظروف، فمنها: تفاؤله ﷺ وهو في الغار مع صاحبه أوائل ليالي الهجرة، قال أبو بكر رضي الله عنه: فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أنَّ بعضهم طأطأ بصره رآنا، قال: (**اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**)[2].

وكان عليه السلام يتفاءل بالأسماء الحسنة إذا قيلت له، ومن ذلك أنَّه كان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، ورؤي بشر ذلك في وجهه. وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح بها ورؤي بشر ذلك في وجهه[3]، وتفاؤل باسم سهيل يوم الحديبية[4]، وتفاءل برؤية المكاتل والمساحي في أيدي أهل خيبر وهروبهم منه بخراب ديارهم وانتصاره عليهم[5]. وغير هذا كثير في سيرته ﷺ، مما يدل على أنَّ التفاؤل سنَّة نبوية يقتدى به فيها، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب:٢١.

الفرق بين المتفائل والمتشائم:

١- المتفائل يثق بربه ويحسن التوكل عليه مع بذل الجهد لتحقيق المراد، والمتشائم يتواكل، ويتكئ على غيره في تحقيق أمنياته.

٢- المتفائل يرى الحياة بألوان الربيع المبهجة، بيد أنَّ المتشائم ينظر إلى الحياة من خلال نظارة سوداء لا بياض فيها.

٣- المتفائل يُوجد ألف سبب لإسعاد نفسه، وطمأنة سريرته، والمتشائم يصنع ألف عثرة في طريقه؛ فيكثُر تردُّده وخوفه.

٤- المتفائل روحه وقَّادة نشطة، يرى الخير ويعمل جادا للحصول عليه، أمَّا المتشائم فكسول لا يرى إلا فصول الحياة السلبية.

٥- المتفائل أقل عُرضة للأمراض، وأكثر حظا بالسعادة، والمتشائم أكثر عرضة للأمراض، وأقل نصيبا من السرور؛ لأنَّه يكتئب سريعا، ويرى لون الحياة باهتا.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢١٥/١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٧٠٧)، ومسلم (٢٣٨١).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٣٩٢٠)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٢).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠) ومسلم برقم(١٣٦٥).

أبرز ثمراته[1] :

إنَّ للتفاؤل ثمرات يجنيها كل شخص متفائل، ومن أبرزها:

١- حسن الظن بالله تعالى، وهو من أعظم أعمال القلوب.

٢- يجلب السعادة إلى النفس والقلب، فيذوقا لذة الحياة وطمأنينة الفؤاد.

كن بلسماً إن صار دهرك أَرقما وحلاوةً إن صار غيرك علقما

٣- ترويح للمؤمن وسرور له.

٤- تقوية العزائم، والإعانة على الظفر، والبعث على الجد.

٥- الاقتداء بالسنة المطهرة وأخذ الأسوة الحسنة من المصطفى ﷺ حيث كان يتفاءل في حياته وحروبه وغزواته.

القيمة الثانية: النظام والانضباط:

التعريف: النظام هو الأوامر والنواهي والإرشادات التي تحدد طريقة العمل في كل ما ينبغي ترتيبه وإنجازه[2].

أمَّا الانضباط فهو: التزام نظام واحد لا يفارقه في كل شيء[3] .

إنَّ الله تعالى خلق الكون وفق نظامٍ معيّن، فلا يمكن أن يخرج أي مكونٍ من مكوناته عمَّا هو مرسومٌ له؛ لأنَّه بذلك سيؤدي لانهيار الكون، فالليل لا يمكن أن يسبق النهار، ولا الشمس تدرك القمر، قال تعالى:﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ يس: ٤٠.

وقد حدَّد الله تعالى للشعائر التعبدية صفات، ورتَّب لها شروطا وواجبات وسننا تربي المسلم على النظام والانضباط، ومن تلك الإرشادات ما شرعه الله عند أداء الصلاة وجعلها خلف إمام يأتمُّ الناس به ويتابعونه في أفعاله، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ، فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلاَةِ**)[4]. كان النبي ﷺ يمسح مناكب أصحابه في الصّلاة ويقول: (**اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ**

(١) ينظر: نضرة النعيم (١٠٤٩/٣).

(٢) ينظر: معجم لغة الفقهاء(ص٤٨٢)، تاج العروس: (٤٩٧/٣٣).

(٣) ينظر: لسان العرب(٣٤٠/٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٨٩)، ومسلم برقم(٤١٤).

يَلُونَهُمْ)[1].

ونظَّم الإسلام العلاقات الاجتماعية بين الناس في الزيارات والدخول عليهم والخروج فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ النور: ٥٨ – ٥٩.

وهذا يوحي لنا أنَّه ينبغي للمسلم أن يسعى لتكون حياته كلُّها منظَّمة في جميع جوانبها؛ ليتحقق فيه مقصود الشرع في جعله متميزا عن سائر البشرية.

جوانب النظام والانضباط:

يطلب النظام والانضباط من المسلم في ثلاثة جوانب رئيسة:

الأول: النظام والانضباط في القيام بالتكاليف الشرعية:

يظهر انضباط المسلم بالأوامر والنواهي الشرعية في جوانب من حياته، من أبرزها:

١) العناية بصحة العقيدة، فيتعلَّم ما يجب اعتقاده ويحذر من كل ما يقدح في الاعتقاد الصحيح من صور الشرك وخصال البدعة.

٢) الانضباط في أداء العبادات على وجهها الشرعي، فيصلي الصلوات المفروضة والنوافل المستحبة محققا شروطها ومؤديا أركانها وواجباتها وسننها. ويفعل ذلك في كل عباداته من زكاة وصيام وحج وغيرها...إلخ

ولا يمكن أن يُعد المسلم منضبطا منظَّما ما لم يلتزم بعباداته التي خلقه الله تعالى لأجلها.

الثالث: النظام والانضباط في الحياة الشخصية:

ويظهر انضباط المسلم والتزام بالنظام في حياته الشخصية في جوانب منها:

١) الانضباط في أداء المهام الدراسية أو الوظيفية على الوجه المطلوب الذي تحدده الأنظمة المرعية في كل دائرة من دوائر المسؤولية.

---

(١) أخرجه ابن حبان برقم(٢١٧٢)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٢) الالتزام بالمواعيد والاهتمام بقيمة الوقت: هذا من شأنه أن يرفع الفرد إلى أعلى المراتب، فالموظف الملتزم بتسليم عمله في الوقت المحدد، والحضور والانصراف وفق النظام المعلن، يرتقي ويصبح موظفا مثاليا وذو ثقة من رؤسائه، كما أنه يحقق على المستوى الشخصي ثقة من جانب زملائه.

٣) التدبير المالي الصحيح الذي يعين الانسان في استثمار جميع وجوه الكسب الممكنة، وتحسين مستوى دخله، ثمَّ ينظِّم ذلك فيجعله أقساما: فقسم للصرف اليومي أو الشهري، وآخر للصدقة والتقرب إلى الله تعالى، وثالث للادخار المستقبلي، ثم ينضبط في التزامه بذلك، والذي بدوره يجعل الفرد بعيدا عن التبذير أو البخل، فيجد دخله منظما، وأنَّه بإذن الله في مأمن من المفاجآت والكوارث التي يعجز عن التصرف فيها.

٤) تنظيم وقت النوم والاستيقاظ، فإنَّ ذلك كفيل بالمساعدة على تنظيم سائر الجوانب في حياة المسلم.

٥) تنظيم الأكل والشرب في أوقاته وكمياته، فإنَّ النبي ﷺ بيَّن أن نصيب الطعام من بطن الإنسان الثلث، وأمَّا الثلثان الآخران فللشراب والنفس.

الثاني: النظام والانضباط في المسؤوليات الاجتماعية:

يظهر التزام المسلم بمسؤولياته الاجتماعية فيما يلي:

١) أداء الواجبات الاجتماعية التي كُلِّف بها قبل مطالبته بالحقوق التي له، فيؤدي حقَّ الوالدين والأولاد والزوجة، والأقارب، والجيران...إلخ، ويكون ذلك رجاء الثواب من الله وليس لأجل المصالح الدنيوية، فإن قوبل بمثل فعله فليحمد الله، وإن لم يعط حقَّه فيطلبه من الله تعالى مع استمراره في أداء ما أوجب الله عليه.

٢) احترام القوانين والأنظمة الاجتماعية التي لا تخالف الشرع: وذلك لأنَّها لم توضع إلا لتنظيم حياة الناس ومنع تعدي بعضهم على بعض، كأنظمة السير، والأنظمة الإدارية، والتعليمية والوظيفية...إلخ.

٣) العدل عند تطبيق القوانين، لكي يتحقق مقصود النظام، فيشعر كل فرد أنَّه مسئول بصورة أو بأخرى عن هذا الجزء من المجتمع، وأنَّ النظام عادل، وأنَّه يطبق على الجميع دون استثناء، فلا تشعر طبقة أو عرق أو فئة أنَّ النظام لا يُطبَّق إلا عليه، فيرى نفسه منبوذا لا ينتمي للمجتمع، فيدفعه ذلك للمخالفة، والتخريب، والعشوائية، وعدم المبالاة، فينهار المجتمع ويتأخر.

أبرز ثمرات الالتزام بالنظام والانضباط[١] :

(١) دليل الالتزام بأحكام الشّرع.

---

(١) نضرة النعيم (٨/٣٥١٤).

(٢) إمكان القيام بالأعمال الكثيرة في الأوقات القليلة.

(٣) القيام بالأعباء على قدر التَّحمُّل والإمكانات.

(٤) التزام النّظام يبعد الشّيطان ويجلب البركة.

(٥) النِّظام يحفظ أمر الجماعة ويقيها من الاختلاف والتفرُّق ويؤدّي إلى المحبة والألفة.

(٧) النِّظام يوطِّد أركان الأسرة ويدعِّم العلاقات الاجتماعيَّة، ويبعد الشّحناء والتباغض.

القيمة الثالثة: النظافة[١]:

تعريفها: النظافة هي: الحُسن والبهاء والتنقية من الدنس[٢] ، والتنظُّف: غَسْلُ الوَسَخ والدَّرَنِ والدَّنَس[٣].

فالنظافة والطهارة تمثلان سلوكا دينيا، ودليلا حضاريا متقدما، فلا تنفكان أبدا عن سيرة تطور البشرية وسعيها نحو الأفضل، لذا لم يكن غريبا أن يبلغ اهتمام الاسلام بهذا الأمر حتى جعل الطهارة شرطا في قبول العبادة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**)[٤]، كما جعل النظافة دليلا على الإيمان ﴿ **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾** ﴾ التوبة: ١٠٨، وبهذا يتبين حرص الإسلام على هذه القيمة في كل تفاصيل الحياة.

أنواعها:

تأتي النظافة على نوعين:

الأول: النظافة الشخصية:

النظافة الشخصية مهمة في الإسلام؛ لأنَّ الطهارة الظاهرة شرط لتحقق الطهارة الباطنة، لذلك فالشريعة الإسلامية تركِّز على الطهارة والنظافة الشخصية، ويتجلَّى ذلك في تطبيقات النبي ﷺ ودعوته إلى الاهتمام بها دون غلو أو تكلُّف، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

١) **نظافة الجسم:** وذلك بالحرص على سلامته من الأقذار والنجاسات، والمبادرة إلى إزالتها إذا أصيب الجسم بشيء منها، فقد نبَّه النبي ﷺ إلى ضرورة الاغتسال ولو مرة في الأسبوع بقوله: (**حَقٌّ عَلَى كُلِّ**

---

(١) ينظر بحث للأستاذ: جمال أحمد نجم، بمركز أبحاث الدين والفطرة، والمنشور في موقع: http://www.hablullah.com/?p=١٩٤٨

(٢) المصباح المنير(ص٣١٥)، وتاج العروس(٢٤/٤٢٤).

(٣) تهذيب اللغة(١٤/٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري برقم(٦٥٥٤).

مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ)[1] ، والحديث فيه تأييد لقوله تعالى: ﴿*يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾الأعراف: ٣١. فلا ينبغي أن يمر على المسلم أسبوع دون غسل، لقوله ﷺ: **(مَنْ جَاءَ مِنْكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ)**[2]. وقوله: **(غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ)**[3] .

٢) **إكرام الشعر**: وذلك بالحرص على مظهره بترجيله والمحافظة عليه، فقد كان النبي ﷺ يحرص على ترجيل شعره ودهنه، ويوجّه أصحابه لذلك، فعن جابر ﷺ قال: أتانا رسول الله ﷺ زائرا في منزلنا فرأى رجلا شعثا فقال: **(أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ)**[4] .

٣) **التطيب**: أي استخدام الطيب (العطر) وخاصة عند ملاقاة الناس في المساجد والمجالس، فعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى)**[5] .

٤) **تجنب الأطعمة ذات الرائحة المؤذية**: ينبغي تجنب هذه الأطعمة عند إرادة الاجتماع بالناس وخاصة في المساجد، فقد جاء نهي من أكل الثوم أو البصل وما شابههما أن يأتي المسجد، فقال ﷺ: **(مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ)**[6] ، وليس المقصود من النهي تحريم أكلها؛ وإنَّما الحرص على عدم تناولها عند إرادة الاجتماع بالناس، ويوضح هذا قوله ﷺ في حديث آخر **(مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ–الثوم– فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا، حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهَا)**[7].

٥) **نظافة الأسنان**: فقد كان النبي ﷺ يظهر حرصا خاصا بنظافتها في كل الأوقات، ويتأكد ذلك عند الصلاة، قال ﷺ: **(السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ)**[8] ، وقال: **(لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)**[9] . وقال: **(لَقَدْ أَمَرْتُ بِالسِّوَاكِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٨٥٦)، ومسلم برقم(٨٤٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٨٥٤)، ومسلم برقم(٨٤٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم(٨٣٩).

(٤) أخرجه ابن حبان برقم(٥٤٨٣)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٥) أخرجه البخاري برقم(٨٤٣).

(٦) أخرجه مسلم برقم(٥٦٤).

(٧) أخرجه مسلم برقم(٥٦١).

(٨) أخرجه ابن حبان برقم(١٠٦٧)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد.

(٩) أخرجه البخاري برقم(٨٤٣).

سَيَنْزِلُ بِهِ عَلَيَّ قُرْآنٌ، أَوْ وَحْيٌ)[1] . والسنة تحصل بالاستياك بكل عود لين طيب الطعم والرائحة، كما تحصل باستعمال الفرشاة والمعجون، مع التأكيد على فوائد استخدام عود الأراك خاصة؛ لما له من آثار صحية على الفم بشكل عام، والأسنان واللثة بشكل خاص.

٦) **قص الأظافر وحلق العانة ونتف الإبط:** وهي من سنن الفطرة كما ورد في عدد من الروايات، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِتَانُ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَأَخْذُ الشَّارِبِ**)[2]، وينبغي للمسلم أن يداوم على تطبيق هذه السنن ولا يتركها لوقت طويل، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (وقَّت لنا رسول الله ﷺ في قصِّ الشارب وتقليم الأظفار وحلق العانة ونتف الإبط أن لا تترك أكثر من أربعين يوما)[3] .

٧) **نظافة الثياب:** إنَّ من نعم الله تعالى على الإنسان أن خلق له ما يصنع منه ثيابا يستر بها عورته ويجمِّل مظهره، ويتقي بها الحر والبرد، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ الأعراف:٢٦، فاللباس للإنسان كالريش للطير، فاكتمال ريش الطائر يجمله ويحميه، وكذلك اللباس.

ويزداد التأكيد على نظافة الثياب عند الاجتماع للصلوات والولائم والمجالس العامة، فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن سلام ﷺ أنَّه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة: (**مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ – أَوْ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدْتُمْ – أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ**)[4] . وعن جابر ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ رأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: (**أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ**)[5].

ثانيا: النظافة العامة:

كما حرص الاسلام على النظافة الشخصية فقد حثَّ على النظافة العامة والمحافظة عليها، حيث وجدنا العديد من الأحكام الشرعية التوجيهات للمحافظة على الأماكن الخاصة والعامة ومن ذلك:

١) **نظافة المسكن:** إنَّ منزل الإنسان ينبغي أن يكون نظيفا طاهرا من الأوساخ والنجاسات وكل ما ينفِّر الناس من دخوله، وأيضا فإنَّه يحتاج للصلاة في البيت، وهي لا تصح إلا في مكان طاهر. بالإضافة إلى انَّ نظافة المسكن عنوان رقي أهله وتحضرهم كما هو معلوم مشاهد.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم(٢٨٩٥)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٥٥٠)، ومسلم برقم(٢٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود برقم(٤٢٠٠)، وصححه الألباني.

(٤) المصدر نفسه برقم(١٠٧٨)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه ابن حبان برقم(٥٤٨٣)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

٢) نظافة الطرق والأماكن العامة: نظافة الطرق والساحات العامة دليل على رقي أهل البلد، وتعرف سمات المجتمع الخُلقية من نظافة الطرق والساحات؛ فنظافتها أبهج للنفس وأنقى للمتنفس وأدعى للاحترام. وقد حذر النبي ﷺ من التسبب في إيذاء الطريق أو الأماكن العامة التي يقصدها الناس للاستظلال والراحة بقوله: (**اتَّقُوا اللَّعانَين**) قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (**الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ**)[١] ، وورد تأكيد ذلك في حديث آخر حيث قال ﷺ: (**اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ**)[٢] .

٣) إزالة الأذى الطاري على المرافق العامة: إنَّه لا يخلو أن تتسخ المرافق العامة والطرقات بأي سبب كان، وقد وجه النبي ﷺ إلى إزالة الأذى عن الطريق، واعتبر ذلك من أبواب الخير، فقال: (**يُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**)[٣] ، وأكَّد هذه الفضيلة حين عدَّها من شعب الإيمان فقال: (**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**)[٤] .

وإماطة الاذى عن الطريق من محاسن الأعمال فعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: (**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ**)[٥] ، وقد كان أرض المسجد في زمن النبي ﷺ من التراب والدفن فيها ممكن، أمَّا اليوم فالمساجد مفروشة ولا يمكن تصور ذلك. كما لا ينبغي البصاق في الطرقات والأماكن العامة لأنَّه لا مجال للدفن فيها لكون الطرقات والساحات معبدة أو مرصوفة؛ ولأنَّه يؤدي إلى إيذاء الناس، فرحم الله من تجنب ذلك.

وبهذا يُعلم أنَّ من يطرح الشوك في الطريق والحجارة والكناسة والمياه المفسدة وكل ما يؤذي الناس تُخشى عليه العقوبة عليه في الدنيا والآخرة، ولا شك أن رفع الأذى عن الطريق من أعمال البر التي تكفِّر السيئات وتوجب الغفران، ولا ينبغي للعاقل أن يحقر شيئا من أعمال البر.

أبرز ثمارها:

١) نيل محبة الله تعالى، وكفى بها ثمرة، فمن يحرص على الطهارة بشقيها المادي والمعنوي يستحق محبة الله تعالى؛ فالأمر بالغسل والوضوء سبيل لتحقيق غرض الإسلام بأن يعيش الإنسان طاهرا بنفسه وجسده

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٢٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم(٢٦)، وحسنه الألباني.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٨٢٧)، ومسلم برقم(١٠٠٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم(٣٥).

(٥) أخرجه مسلم برقم(٥٥٣).

وبيئته. وقد امتدح الله عز وجل أهل قباء، وجعل حرصهم على الطهارة والنظافة سببا في حبه لهم؛ فقال: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ التوبة: ١٠٨، قال البغوي في تفسيره: "أي: يتطهرون من الأحداث والجنابات والنجاسات. وقال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة"[١] .

٢) غفران الذنوب وتكفير الخطايا: فعن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**)[٢] .

٣) دخول الجنة: فقد ورد أنَّ المحافظة على الطهارة والنظافة سبب لدخول الجنة. فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**)[٣] .

٤) كسب محبة الناس: ألا ترى أنَّ النَّاس ينجذبون للنظيف من كل شيء وينفرون من القذارة ؟ وهذا عام في الأفراد والمؤسسات والمطاعم والفنادق، حتى الدول والبلدان، فرغبة الناس تتجه دائما نحو الأنظف الأطيب.

---

(١) معالم التنزيل(٤/٩٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٢٤)، ومسلم برقم(١٩١٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم(١٩١٤).

الوحدة الرابعة

الأخلاق الإسلامية

إنَّ الأخلاق التي حثَّ عليها الإسلام كثيرة، وجوانب تطبيقها وامتثالها في حياة المسلم متعددة، وسأذكر هنا نماذج من الأخلاق الحسنة التي أمر بها الشرع وحثَّ عليها، ومنها ما يلي:

الخلق الأول: الصبر:

الصبر في اللغة: الحبس، فيقال: صبرت الدابة إذا حبستها[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ الكهف: ٢٨.

وأما في الاصطلاح فهو: **حبس العبد نفسه على فعل مايحبه الله، وترك مايبغضه، والاستسلام لما يقضيه ويقدره.**

وقد ذكر الله تعالى الصبر في مواضع كثيرة، ونوَّع الفضل والجزاء المترتب عليه، فأمر به، وأثنى على أهله، وأوجب على نفسه محبتهم، وحكم بمعيته لهم، وجعل جزاءهم بأحسن أعمالهم، وجعل البشرى لهم مطلقة بلا تقييد، وأخبر أنَّ أهل الصبر هم أهل العزائم، وأنهم المؤهلون للإمامة في الدين.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره لجملة مما ذكره الله في كتابه عن الصبر: "ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له؛ كما أنَّه لا جسد لمن لا رأس له"[2].

---

(١) ينظر: لسان العرب(٤/٤٣٧).

(٢) مدارج السالكين(٢/١٥٥).

أنواع الصبر:

الصبر ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على القيام بطاعة الله:

النفوس البشرية تحب الدَّعة والركون إلى الراحة، والطاعات تحتاج بذل أقصى الجهد في الامتثال؛ لأنَّها تُطلب من العبد في أوقات محددة، وصفات وهيئات معينة، فإن لم تُفعل في وقتها، ولم تؤدَّ على صفتها لم يقبلها الله تعالى. فالصلاة تثقل على النفوس؛ لأنَّ من طبيعتها الكسل وايثار الراحة سيما إذا اتفق مع ذلك قسوة القلب، وغلبة الذنب، والميل إلى الشهوات، ومخالطة أهل الغفلة، فلا يكاد العبد مع هذه الأمور وغيرها أن يصلي، وإن صلَّى مع ذلك كان متكلفا، غائب القلب، ذاهلا عنها، فرحا بفراقها.

والزكاة تعارض طبيعة النفوس، لأنَّ من طبيعتها الشح والبخل لذا تنفر عنها، وكذلك الحج والجهاد تنفر عنهما النفوس لمحبتها للراحة والدعة، فيحتاج العبد إلى الصبر في هذا كله. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**)[1]. والمعنى: إنَّه لا يُوصل إلى الجنة إلا بارتكاب ما تكرهه النفوس مما يخالف هواها.

والصبر على القيام بالطاعات أفضل أنواع الصبر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ نقلا عن شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل؛ فإنَّ مصلحة فعل الطاعة أحبُّ إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية"[2].

الثاني: الصبر عن الوقوع في معصية الله:

ورد في الحديث السابق أنَّ النَّار محجوبة بالشهوات، فمن اتَّبع هواه وسعى في تحصيل شهواته أوشكت أن توقعه في النار، ومن كبح جماحها وألزمها طاعة ربها فاز بالجنة وذلك هو الفوز العظيم. قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: (حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعتْ نفسه مما يلقى طالت به علَّة الضنا).

وإنَّ النفوس البشرية مجبولة على الميل إلى ما يشبع شهوتها من استمتاع الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، إلا أنَّ الله تعالى لم يجعل سبيلا صحيحا لهذه العلاقة إلا النكاح، وما عداه مع تيسر أموره وكثرة دواعيه محرم، والمؤمن يحتاج إلى الصبر لكبح جماح نفسه وإلا أغضب ربه عز وجل.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٦٤٨٧).

(٢) مدارج السالكين (١٥٦/٢).

وإطلاق اللسان في الناس ثلبا وقدحا وسخرية واستهزاء أمر محبوب إلى كثير من النفوس، إلا أن المؤمن يمنع نفسه ويحبسها عن النيل من الأعراض، وهذا من أشدَّ أنواع الصبر.

ولما لهذين الأمرين من الخطورة البالغة والدوافع الداخلية القوية جعل الله جزاء الصابر فيهما عظيما، فقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: **(مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ)**[1].

الثالث: الصبر على ما يُصاب به من الأقدار المؤلمة:

العبد في الدنيا معرض للابتلاء، قال الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٥، ومن الابتلاء مصائب الدنيا والأقدار المؤلمة التي يجريها الله تعالى على عباده، وهي متنوعة: في النفس كالمرض والموت، وفي المال كالخسارة والتلف، وفي المجتمع كالظلم وتسلط الأعداء والحروب وانعدام الأمن، وفي الكون كالزلازل والبراكين والفيضانات التي تهلك الحرث والنسل، وفيها جميعا يُطلب الصبر.

وقد ذكر الله تعالى أصول المصائب التي يصيب بها الناس، فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ البقرة: ١٥٥، وبَشَّر من صبر عليها بالعاقبة الحسنة، ودلَّهم على ما ينبغي عليهم قوله مع صبرهم على أقداره فقال: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

ولقد صار الصبر أصلا من أصول الأخلاق الحسنة لأنَّه يحمل صاحبه على جملة طيبة من الأخلاق الفاضلة كاحتمال الأذى، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، والحلم عن السفيه، والأناة والسكينة والرفق وعدم الطيش والعجلة، ولهذا أمر الله به جميع الأنبياء عليهم السلام فقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ الأحقاف: ٣٥.

الخلق الثاني: العفة:

العفة في اللغة: مصدر من عفَّ الثلاثي، بمعنى: كفَّ، فيقال: عفَّ عن الحرام، أي: كفَّ عنه[2].

وفي الاصطلاح: الكفُّ عمَّا لا يحسن ارتكابه من الأقوال والأفعال.

لقد أثنى الله تعالى على الفقراء الذين لا يسألون الناس شيئا فقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٣.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٦٤٧٦).

(٢) ينظر: لسان العرب(٩/٢٥٣).

وأمر تعالى بالعفة كل من لا يستطيع النكاح: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ النور: ٣٣، ورغَّب النساء الكبيرات اللاتي لا يرغبن النكاح أن يستعففن وأنَّه خير لهن من وضع ثيابهن فقال: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ النور: ٦٠،

ولفضل العفة تكفَّل الله تعالى بإعانة من يريد العفاف، فقد ثبت في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثَلاَثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ**)[1].

قال أبو العلاء المباركفوري: "(**والناكح الذي يريد العفاف**) أي: العفة من الزنى. قال الطيبي: إنما آثر هذه الصيغة إيذانا بأنَّ هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الانسان وتقصم ظهره؛ لولا أنَّ الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف؛ لأنَّه قمع الشهوة الجبلية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعفَّ وتداركه عون الله تعالى ترقى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليين"[2].

وقال الفاروق ﷺ: (المروءة مروءتان: مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش–حسن الملبس–، والمروءة الباطنة: العفاف).

أنواع العفة:

العفة المطلوبة في الشرع على أربعة أنواع:

الأول: كفُّ اللسان عن أعراض الناس.

الثاني: حفظ السمع عن المحرمات.

الثالث: غض البصر عن الحرام.

الرابع: كفُّ اليد عن الاعتداء.

قال الراغب الأصفهاني: "ولا يكون الإنسان تامَّ العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر. فمِن عَدَمِها في اللسان: السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالألقاب، ومِن عَدَمِها في البصر: مدُّ العين إلى المحارم وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة. ومِن عَدَمِها في السمع: الإصغاء

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(١٦٥٥)، وحسنه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذي(٥ /٢٤٢).

إلى المسموعات القبيحة. وعماد عفَّة الجوارح كلِّها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحد منها إلا فيما يسوِّغه العقل والشرع دون الشهوة والهوى"[1] .

وإنما صارت العفة أصلا من أصول الأخلاق الفاضلة لأنَّها تحمل العفيف على اجتناب الرذائل والقبائح من الأقوال والأفعال، وتجمِّله بالحياء الذي هو رأس كل خير، وتمنعه عن الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة، والنميمة.

أبرز الصوارف عن العفة:

لا ينال العفة إلا من كان قويا على ضبط نفسه، بحيث لا يُعرِّضها لمواطن الزلل، إذ لا يأمن انحرافها مع تيار الشهوات، وإنَّ الصوارف عن العفة كثيرة وقوية سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه الشبهات والشهوات فأبعدت بعض المسلمين عن التمسك بالشريعة، وانخرطوا متأثرين بما اطَّلعوا عليه من الثقافات المخالفة لما نشؤوا عليه من المعاني الإسلامية الأصيلة، وفيما يلي ذكر لأبرز الصوارف عن العفة في العصر الحاضر:

١. الاختلاط بين الرجال والنساء:

إنَّ من أشدِّ ما دهم المسلمين من الثقافات الأخرى رفع الحجاب بين الجنسين، واختلاطهم في أماكن الدراسة ومواقع العمل حتى أصبح العفيف يعاني أشدَّ المعاناة في الحفاظ على عفَّته والبقاء بعيدا عن إنشاء العلاقات مع الطرف الآخر.

٢. وسائل الإعلام غير المحافظة:

إنَّ كثيرا من وسائل الإعلام في العالم تمارس دورا مشينا في محاربة العفة والاحتشام والمحافظة على الخصوصية، وإنها لتبثُّ آلاف المشاهد والأفلام والصور التي توهن جدار العفاف والحشمة يوما بعد يوم، ولا يسلم من هذا الانحراف الإعلامي إلا النزر اليسير المحافظ على الثوابت والقيم الإسلامية.

٣. التبرج والسفور:

لقد أوجب الله تعالى على المرأة المسلمة الحجاب الذي يسترها فلا يرى الأجانب شيئا من جمالها وزينتها، فإذا هي تركت الحجاب أو تخففت منه واستشرفت للناس كانت داعية لهم من حيث تعلم أو لا تعلم إلى الافتتان بها والسعي للوقوع في الفواحش بسببها، وهي أيضا لا تسلم من الانحراف فتدنس عفافها وتحمل العار الذي لا يفارقها طول حياتها.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة(ص٢٢٤).

وقد قال الله تعالى في بيان الآداب الواجبة على المرأة: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فأمر الله سبحانه الرجال والنساء بالغض من البصر وحفظ الفرج، كما أمرهم جميعًا بالتوبة، وأمر النساء خصوصًا بالاستتار، وألاَّ يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ومن استثناه الله تعالي في الآية، فما ظهر من الزينة هو الثياب الظاهرة، فهذا لا جناح عليها في إبدائها إذا لم يكن في ذلك محذور آخر، فإنَّ هذه لابد من إبدائها، وأمر سبحانه النساء بإرخاء الجلابيب لئلا يُعرفن ولا يُؤذين، وقد ذكر عبيدة السلماني وغيره رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ نساء المؤمنين كن يدنين عليهن الجلابيب من فوق رؤوسهن حتي لا يظهر إلا عيونهن لأجل رؤية الطريق، وثبت في الصحيح أنَّ المرأة المُحْرِمة تُنهى عن الانتقاب والقفازين، وهذا مما يدل على أنَّ النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يُحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن. وقد نهى الله تعالي عمَّا يُوجب العلم بالزينة الخفية بالسمع أو غيره، فقال: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾، وقال: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾، فلما نزل ذلك عمد نساء المؤمنين إلى خمرهن فشققنهن وأرخينها على أعناقهن. والجيب: هو شَقٌّ في طول القميص، فإذا ضربت المرأة بالخمار على الجيب سترت عنقها، وأُمرت بعد ذلك أن ترخي من جلبابها، والإرخاء إنما يكون إذا خرجت من البيت، فأما إذا كانت في البيت فلا تؤمر بذلك، وقد ثبت في الصحيح : أن النبي ﷺ لما دخل بصفية قال أصحابه: إن أرخى عليها الحجاب فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يضرب عليها الحجاب فهي مما ملكت يمينه، فضرب عليها الحجاب، وإنما ضُرب الحجاب على النساء لئلا تُرى وجوههن وأيديهن"(١).

٤. استماع الغناء والمعازف:

الغناء: التطريب والترنم بالكلام الموزون وغيره، يكون مصحوبا بالموسيقى وغير مصحوب(٢).

المراد بالغناء هنا: الترنم المصحوب بالموسيقى والمعازف.

وهذا الغناء اشتهر في الناس وانتشر في كل العالم، وأصبح للغناء سمات لا ينفك عنها، ألا وهي عبارات العشق والغرام، وألفاظ الجنس والشهوة، والتغزل في صفات المحبوب أو المحبوبة، مع المعازف المؤثرة في النفوس الآسرة للقلوب، فلا تكاد ترى من أدمنوا سماع الغناء والمعازف إلا وهم صرعى الهوى، يتأوَّهون

(١) مجموع الفتاوى(١٥/٢٧١، ٢٧٢).

(٢) المعجم الوسيط(٢/٦٦٥).

الحسرات ويشتكون الصد والهجران، مما أثر على قلوبهم فدفعتهم للوقوع في الفواحش، ومن سلم من الفاحشة العظمى لا تجده سالما مما هو دونها من الاستمتاع المحرم بالأقوال أو الأفعال، مما يهتك جدار العفة ويمرض القلوب.

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ – يَعْنِي الفَقِيرَ – لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**)[1].

نماذج من العفة:

ذكر الله تعالى في كتابه نموذجين للعفة: أحدهما لرجل، والثاني لامرأة:

النموذج الأول: يوسف عليه السلام لما راودته امرأة العزيز عن نفسه، قال تعالى: ﴿**وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾**﴾ يوسف: ٢٣ - ٣٤.

قال ابن القيم رحمه الله معلقا على هذه القصة: فأخبر–الله تعالى– عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه؛ مع أنَّ الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه، فإنَّ موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة وذلك لوجوه:

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٥٥٩٠).

أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة كما يميل العطشان الى الماء والجائع إلى الطعام، حتى إنَّ كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء.

الثاني: أنَّ يوسف عليه السلام كان شابا، وشهوة الشباب أقوى من غيرهم.

الثالث: أنَّه كان عزبا لا زوجة له تكسر شدة الشهوة.

الرابع: أنَّه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه وبين أهله ومعارفه.

الخامس: أنَّ المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أنَّ كل واحد من هذين الامرين يدعو إلى موافقتها.

السادس: أنها غير آبية ولا ممتنعة.

السابع: أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد فكفته مؤنة الطلب وذُلَّ الرغبة اليها.

الثامن: أنَّه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

التاسع: أنَّه لا يخشى أن تخبر عنه؛ لأنَّها هي الطالبة والراغبة، وقد غلَّقت الأبواب وغيبت الرقباء.

العاشر: أنَّه كان مملوكا لها في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه، وكان الأمن سابقا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي.

الحادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إيَّاهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه فاستعان هو بالله عليهن فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ يوسف: ٣٣ .

الثاني عشر: أنها تواعدته بالسجن والصغار.

الثالث عشر: أنَّ الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة. وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع وهنا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلها آثر يوسف عليه السلام مرضات الله وخوفه، وحَمَلَه حبَّه لله على أن اختار السجن على الزنا، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ، وعلم أنَّه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه، وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة[1].

فمن فوائدها:

---

(١) ينظر: الجواب الكافي(ص١٤٩).

١) أنَّ وجود يوسف عليه السلام -بحكم الرق الذي هو فيه- داخل بيت العزيز كان سببا لافتتان المرأة به، لذا فقد حرَّم الإسلام الدخول على النساء الأجنبيات ولو كنَّ من القرابة، ففي الحديث: (**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: (**الحَمْوُ المَوْتُ**)(١) .

٢) أنَّ المسلم إذا خاف الفتنة يلجأ إلى الله كما لجأ يوسف عليه السلام، وليُذكِّر نفسه بالفضل الذي عليه وأنَّه لا يحسن منه الغدر ولا الخيانة، قال يوسف عليه السلام: ﴿**مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾**﴾.

٣) ليستيقن المسلم أنَّه إن ترك شهوته لله وقد تيسرت له أنَّ الله سيعينه على التغلُّب عليها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾**﴾ يوسف: ٢٤.

٤) أن ابتعاد المسلم عن مواقع الفتن من أسباب السلامة منها: ﴿**وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾**﴾ يوسف: ٢٥.

الأنموذج الثاني: مريم العذراء البتول رضي الله عنها عندما جاءها الملك في صور آدمي، قال تعالى عنها: ﴿**وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾**﴾ مريم: ١٦ - ٢١.

وفي قصتها فوائد في العفة منها:

١) أنَّ عفتها كانت سببا في تخليد ذكرها، وأن تُذكر في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة.

٢) أنَّها اعتصمت بربها حين رأت الرجل في صورة جميلة وهيئة حسنة وخافت أن يكون قد أرادها بسوء وطمع فيها فقالت: ﴿**إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾، فجمعت بين الاعتصام بالله وبين تخويفه، وترهيبه، وأمره بالتقوى.

٣) أنها لم تضعف أمام شهوتها، وهي في حالة خالية بعيدة عن الناس، ومع هذا فهي شابة عندها ما عند الشباب من الشهوة، وهو في غاية الجمال الباهر والبشرية الكاملة السوية.

٤) أن خوفها من الفتنة والبعد عن الشر وأسبابه أبلغ ما يكون من العفة، وهذه العفة من أفضل الأعمال، ولذلك أثنى الله عليها فقال: ﴿**وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ**

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٢٣٢)، ومسلم برقم(٢١٧٢).

﴿ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ التحريم: ١٢ فأعاضها الله بعفتها ولداً من آيات الله ورسولا من رسله[١] .

الخلق الثالث: العدل:

يطلق العدل في اللغة على الإنصاف وعدم الظلم، فيقال: عدل معه، أي: أنصفه ولم يظلمه. ويطلق على الاستقامة في الأمر، فيقال: رجل عدل، أي: مستقيم[٢].

وفي الاصطلاح: إعطاء الواجب من النفس مع الاستقامة على الحق والثبات عليه[٣] .

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: حدُّ العدل أن تُعطي من نفسك الواجب وتأخذه، وحدُّ الجور أن تأخذه ولا تعطيه، ووجدت أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبِّه، وعلى الحق وإيثاره[٤].

وقد وردت نصوص كثيرة في العدل، منها قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل: ٩٠. قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ مجملا الحديث عن هذه الآية: " فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقِّه وفي حقِّ عباده، فالعدل في ذلك: أداء الحقوق كاملة موفرة، بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقِّه وحقِّ عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل والٍ ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي. والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسولهﷺ، وأمرهم بسلوكه "[٥].

قال أبو الفتح البستي رَحِمَهُ اللَّهُ:

عليك بالعــدل إن وُلِّـيت مملكـة ... واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالمُلك يبقى على عدل الكفور ولا ... يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

أنواع العدل:

ذكر الله تعالى في كتابه وذكر النبي ﷺ في سنته مواطن كثيرة للعدل، منها:

١) العدل عند الحكم بين الأطراف المتخاصمة: قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن(ص٤٩١).

(٢) ينظر: القاموس المحيط(١١٠٧)، والمعجم الوسيط(٢/٥٨٨).

(٣) ينظر: التعريفات(ص١٩١)، والحدود الأنيقة(ص٧٣).

(٤) ينظر: الأخلاق والسير(ص٨١- ٩٠)بتصرف.

(٥) تيسير الكريم الرحمن(ص٤٤٧).

٢) العدل عند الصلح بين الناس فلا يُحابي طرفا على حساب الطرف الآخر: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجرات: ٩.

٣) العدل عند تعامل المسلم مع من لا يحبه من الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨.

٤) العدل في القول وعند الشهادة، وتكون بقول الحق ولو كان على أقرب قريب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ ﴾ النساء: ١٣٥.

٥) العدل بين الزوجات لمن كان معددا، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: **(مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ)**[١] .

٦) العدل بين الأولاد فلا يفاضل بينهم إلا بسبب شرعي، فعن النعمان بن بشير ﷺ أنَّ أمَّه سألت أباه بعض الموهبة من مالٍ لابنها، فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابني. فأخذ أبي بيدي وأنا يومئذ غلام، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمَّ هذا أعجبها أن أشهدك على الذي وهبتُ لابنها. فقال رسول الله ﷺ: **(يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا ؟)** قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: **(أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟)** قَالَ: لَا، قَالَ: **(فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ)**[٢] .

٧) العدل بين من تحت يد الإنسان من رعية أو موظفين أو طلاب، قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، ـوَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌـ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُو)**[٣] أي: من كانت لهم عليه ولاية.

٨) العدل في المعاملات كلها، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥.

وإنما صار العدل أصلا من أصول الأخلاق الحسنة لأنه يحمل صاحبه على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، كما يحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الشح والإسراف، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحِلْم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة. وهكذا في سائر الأخلاق؛ لأنَّه ما من خلق محمود إلا وهو بين خلقين ذميمين.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم(٢١٣٣)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٦٥٠)، ومسلم برقم(١٦٢٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم(١٨٢٧).

الخلق الرابع: خلق الرحمة:

الرحمة في اللغة: الرقة والعطف والرأفة[١].

وفي الاصطلاح: حالة من الانكسار والعطف تعتري النفس عند رؤية ما يحزنها رؤيته على من تحب.

فالفقر يحزن النفس ويدفعها لرحمة الفقير والصدقة عليه، والضعف يدفعها لرحمة الصغير، والوحدة تدفعها لرحمة اليتيم، والعجز يدفعها لرحمة من ليس له حيلة...وهكذا.

والرحمة صفة من صفات الرب ﷻ، ففي الحديث القدسي: (**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**). والنبي ﷺ نبي الرحمة، وهي من أكمل صفات المؤمنين، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**)[٢] .

أبرز الوسائل التي تجلب الرحمة للقلب:

١) تقبيل الصغار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: تقبِّلون الصِّبيان فما نقبِّلهم، فقال النبي ﷺ: (**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**)[٣] . وكان النبي ﷺ يجلس أسامة ابن زيد على فخذه والحسن بن علي على الأخرى ويضمهما ويقول: (**اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا**)[٤] .

٢) الطمع في رحمة الله يدفع الإنسان إلى أن يتصف بالرحمة ليقابله الله بها، ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: (**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**)[٥] .

٣) مسح رأس اليتيم، والعطف على المساكين، فقد شكا رجل إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: (**امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ**)[٦] .

٤) وضع الإنسان نفسه مكان المصاب: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى**

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة(ص١٠٤٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٦٠١١).

(٣) المصدر نفسه برقم(٥٩٩٨).

(٤) المصدر السابق برقم(٦٠٠٣).

(٥) المصدر السابق برقم(٥٩٩٧).

(٦) أخرجه أحمد في المسند برقم(٩٠١٨)، وحسنه الألباني.

الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ)[١] . فهذا الرجل استدعى الرحمة في قلبه باستشعاره حال الكلب مع العطش، وتذكر كيف بلغ به العطش قبله، فدفعه ذلك إلى سقياه فنال المغفرة من الله تعالى.

الخلق الخامس: خلق الحياء:

الحياء ضد الوقاحة، وهو تغيُّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

وفي الشرع: خُلُقٌ يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حقِّ ذي الحقِّ[٢].

والحياء صفة الله تعالى، ففي الحديث: **(إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ)**[٣] . وهو من أخلاق النبي ﷺ، فقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان النبي ﷺ **(أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا)**[٤] . وهو من أخص صفات المؤمنين؛ لأنَّه من الإيمان، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ مرَّ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: **(دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)**[٥] .

وأكمل الحياءِ الحياءُ من الله تعالى، ويكون باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ)** قُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: **(لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا)** يَعْنِي مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ[٦] .

ومثَّل النبي ﷺ الحياء المطلوب شرعا بحياء الإنسان من رجل صالح من قومه، فقال لرجل استوصاه: **(أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ)**[٧] .

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان علو منزلة الحياء: وخُلُق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدرا وأكثرها نفعا، بل هو خاصَّة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، كما أنَّه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخُلُق لم يُقْرَ الضيف، ولم يُوفَ بالوعد، ولم تُؤدَّ أمانة، ولم تُقض لأحد حاجة، ولا تحرَّى الرجلُ الجميلَ فآثره والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٢٣٦٢).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر(١/٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود برقم(٤٠١٢)، وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٥٦٢)، ومسلم برقم(٢٣٢٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦١١٨)، ومسلم برقم(٣٦).

(٦) أخرجه الترمذي برقم(٢٤٥٨)، وحسنه الألباني.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم(٧٣٤٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤدِّ شيئا من الأمور المفترضة عليه، ولم يَرْعَ لمخلوق حقا، ولم يصل له رحما، ولا برَّ له والدا؛ فإنَّ الباعث على هذه الأفعال إمَّا ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإمَّا دنيوي، وهو حياء فاعلها من الخَلْق. فقد تبيَّن أنَّه لولا الحياء إمَّا من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها[١].

الخلق السادس: خلق الحلم:

الحلم في اللغة: ترك العجلة[٢].

وفي الاصطلاح: ترك الانتقام عند شدّة الغضب مع القدرة على ذلك[٣].

والله تعالى من أسمائه الحليم ومن صفاته الحلم، قال ﷻ عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ آل عمران: ١٥٥، وهو صفة الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ التوبة: ١١٤.

وقال النبي ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه: (**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**)[٤].

وجاء رجلٌ النبيَّ ﷺ يتقاضاه دينا فأغلظ في طلبه، فهمَّ به الصحابة، فقال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً**) فقال لهم: (**اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا**[٥]، **فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ**) فقالوا: إنا لا نجد إلا سنا هو خير من من سنه. قال: (**فَاشْتَرُوهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ، أَوْ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً**)[٦].

ألم تر أنَّ الحلم زين مسوِّد لصاحبه والجهل للمرء شائن
فكن دافناً للشَّر بالخير تسترح من الهمِّ إنَّ الخير للشر دافن

وقال لقمان الحكيم: (ثلاثة لا يُعرفون إلا عند ثلاثة: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه).

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة(ص٢٧٧، ٢٧٨) بتصرف.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة(٢/٩٣).

(٣) تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ(ص٢٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم(١٧).

(٥) أي: بعيرا مثل بعيره في السنِّ.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٣٠٦)، ومسلم برقم(١٦٠١).

أبرز فوائد الحلم:

١) **نصرة الله تعالى للحليم:** فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو قرابته يقول: إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأَحلم عنهم ويجهلون عليَّ. فقال: **(لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)**[١].

٢) **نصرة الناس للحليم ضد من جَهِلَ عليه:** قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنَّ أوَّل ما عُوِّض الحليم من حلمه أنَّ الناس كلَّهم أعوانه على الجاهل.

٣) **بلوغ المكانة الاجتماعية:** قيل لعِرَابة بن أوس: بمَ سدت قومك يا عِرَابة؟ قال: كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل، ومن قصَّر عني فأنا خير منه.

وقال ابن حبّان رحمه الله في بيان مكانة الحلم وفضل الحليم: الحليم عظيم الشأن رفيع المكان محمود الأمر مرضي الفعل، والحلم: اسم يقع على زمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه. فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسن من عفو إلى مقدرة. والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام[٢].

أحبُّ مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أَعيب وأَن أُعابا
وأصفح عن سباب النَّاس حِلْما ... وشرُّ النَّاس من يهوى السِّبابا
ومن هاب الرجال تهيَّبوه ... ومن حقَر الرِّجال فلن يهابا

(١) أخرجه مسلم برقم(٢٥٥٨).

(٢) ينظر: روضة العقلاء(ص٢٠٨)

الوحدة الخامسة

الآداب الإسلامية العليا

تبين فيما سبق أنَّ الأخلاق في الإسلام ليست محصورة في تعامل المسلمين مع من حولهم من الناس، بل تتعدى ذلك إلى الآداب الإسلامية، وفي هذه الوحدة سوف نبين نوعين من الآداب الإسلامية العليا: الأدب مع الله، والأدب مع النبي ﷺ.

الأدب مع الله ﷻ:

إنَّ أولى من يجب التأدب معه المنعم على الإنسان بوجوده، والمتفضل عليه برزقه، والمتكرم عليه بفضله وجوده وهو الله سبحانه، ويمكن تلخيص الأدب والخلق مع الله تعالى فيما يلي:

أولا: إخلاص العبادة له وعدم الشرك به.

فالإخلاص لله يعني صفاء القلب والعمل لله تعالى، فلا يشاركه فيهما أحد، وهذا هو التدين الحقُّ، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣، وقال آمرا نبيه ﷺ بإعلان إخلاصه لله تعالى في عبادته ونبذه للشرك: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ الزمر: ١٤ - ١٥. ولما سأل أبو هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ عن أسعد الناس بشفاعته؟ قال: (**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ**

لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)[1] . وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: **(أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)**[2].

وحتى يتمكن المسلم من تحقيق الإخلاص في عبادته لله تعالى عليه أن يستكمل ثلاثة أمور الآتية نبه عليها العلماء:

الأول: تصفية العمل عن الالتفات إلى غير الله، فلا يريد بعمله جاها ولا منزلة عند أحد، ولا لينال به حظا من الدنيا أو مدحا وثناء من الناس؛ بل مراده مرضاة الله فحسب.

الثاني: احتقار العمل مع بذل المجهود فيه، فلا يُعجب بعمله وطاعته فيكون ذلك إحباطا لها.

الثالث: موافقة العمل لهدي النبي ﷺ، إذ كل عمل ليس عليه هديه ﷺ فهو مردود على صاحبه، قال عليه السلام: **(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)**[3] .

قال ابن القيم رحمه الله بعد ذكره هذه الثلاثة: "فهذه الأركان الثلاثة هي أركان السير وأصول الطريق التي من لم يبن عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع، وإن ظنَّ أنَّه سائر فسيره إمَّا إلى عكس جهة مقصوده؛ وإمَّا سير المقعد والمقيد، وإمَّا سير صاحب الدابة الجموح كلما مشت خطوة إلى قدام رجعت عشرة إلى خلف.

فإن عدم الإخلاص والمتابعة: انعكس سيره إلى خلف، وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه سار سير المقيد، وإن اجتمعت له الثلاثة: فذلك الذي لا يجارى في مضمار سيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"[4].

ثانيا: شكر الله تعالى على نعمه:

نعم الله تعالى على العبد كثيرة، ولا سبيل لإحصائها، ﴿**وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾**﴾ إبراهيم: ٣٤. وإنما يكون العبد شاكرا لله تعالى بما يلي:

١) الخضوع له سبحانه، فإنَّ الإنسان بطبعه يخضع لمن تفضل عليه، فكيف بمن لا حياة ولا صحة ولا غنى، بل ولا دنيا ولا آخرة إلا بفضله وجوده ورحمته.

٢) محبة الله تعالى، وجعلها فوق محبة كل أحد.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٩٩).

(٢) المصدر نفسه برقم(٢٩٨٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم(١٧١٨).

(٤) مدارج السالكين(٢ /٩٧).

٣) الاعتراف بالنعمة، ويكون باللسان: بذكرها والإقرار بأنَّها منه وحده، وبالجوارح بالانقياد لله والطاعة لأوامره واجتناب نواهيه.

٤) الثناء على الله بها.

٥) أن يستعمل النعمة فيما يرضي المنعم سبحانه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره. فهذه الخمس: هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة"(١).

وإنَّ التوفيق للقيام بشكر الله تعالى يكون باللجوء إليه ودعائه، فقد ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ أخذ بيد معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال له: (**يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**)، فَقَالَ: (**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**)(٢).

وكان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تفطرت قدماه من طول قيامه فقال له أصحابه مستنكرين: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**)(٣).

ثالثا: استشعار مراقبته:

المراقبة: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الله تعالى على ظاهره وباطنه(٤). قال الله تعالى: ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ**﴾ البقرة: ٢٣٥، وقال: ﴿**يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾**﴾ غافر: ١٩

إنَّ شعور العبد بمراقبة الله له في جميع أحواله يدفعه إلى إحسان العمل ظاهرا وباطنا، فيعبد الله تعالى بأعلى مراتب الدين وهو: الإحسان، الذي بينه النبي ﷺ حين سأله جبريل عنه فقال: (**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**)(٥).

ولا تتم مراقبة العبد لربه تعالى إلا بأمرين:

الأول: معرفة العبد لربه عز وجل- بأسمائه وصفاته وماتدل عليه من المعاني- معرفة حقيقية.

الثاني: تقوية خشية الله في قلبه، بحيث يخاف الله ويخشى عقابه.

---

(١) المصدر نفسه(٢ /٢٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود برقم(١٥٢٢)، وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١١٣٠)، ومسلم برقم(٢٨١٩).

(٤) ينظر: مدارج السالكين(٢/٦٥).

(٥) أخرجه البخاري برقم(٤٧٧٧)، ومسلم برقم(٨).

رابعا: التسليم لحكمه وأمره ونهيه:

خلق الله تعالى الكون كلَّه: سمواته وأرضه، وإنسه وجنه، وسائر مخلوقاته، وجعل أمره ونهيه هو النافذ في الكون كلِّه، فكما أنَّ التصرف في الكون له وحده لا يشاركه فيه أحد فيجب أن تكون الأوامر والنواهي له لا يشاركه فيها أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ الأعراف: ٥٤ - ٥٦، قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى ذكره: إنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم، كل ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن أمره، ألا لله الخلق كلُّه، والأمر الذي لا يخالف ولا يرد أمره، دون ما سواه من الأشياء كلِّها، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر، تبارك الله معبودنا الذي له عبادة كل شيء، رب العالمين"(١).

وأوجب الله تعالى التسليم لحكمه وحكم رسوله ﷺ وجعل ذلك أمارة على الإيمان، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: ٦٥. قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: " أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة، أنَّه لا يؤمن أحد حتى يُحكِّم رسوله ﷺ في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرا وباطنا، ويسلم له تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، وبين في آية أخرى أنَّ قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي، والانقياد التام ظاهرا وباطنا لما حكم به ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ النور: ٥١"(٢).

والتسليم الحقُّ يكون بالتسليم لأمره ونهيه وحكمه وشرعه مع الرضا التام وانشراح الصدر له، وأيضا بالتسليم لقضائه وقدره، الذي يطرق العبد في دنياه بما يحبه ويكرهه، فيكون مطمئن النفس ومرتاح الضمير، موقنا بأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وضد التسليم للحكم والأمر والنهي الاعتراض عليها، وضيق الصدر بها، ووجود الحرج مما تضمنته من أحكام...وهذا فيه سوء الأدب مع الله تعالى برفض حكمه، وردِّ شريعته، واتباع الأهواء فيما يخالف حكمه.

---

(١) جامع البيان(١٢/٤٨٤)

(٢) أضواء البيان(١/٣٩٤).

خامسا: التوبة له:

التوبة: الرجوع إلى الله وترك الإصرار على الذنوب[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود).

والتوبة من أبرز صفات المؤمنين المتقين، قال الله تعالى عنهم: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦

وعلى المؤمن أن يحذر من تقنيط الشيطان له وتيئيسه من قبول الله لتوبته مهما فعل من الذنوب وارتكب من الخطايا والموبقات، قال الله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ الزمر: ٥٣

جاء أبو طويل-شَطْبُ الكندي رضي الله عنه- إلى النبي ﷺ فقال: أَرَأَيْتَ رَجُلاً عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلاَ دَاجَةً إِلاَّ أَتَاهَا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : (**فَهَلْ أَسْلَمْتَ** ؟) قَالَ : أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : (**نَعَمْ ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ**) ، قَالَ : وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي ؟ قَالَ : **نَعَمْ** قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى[2] .

وإن ظن العبد أنَّه لا يقوم بالعبودية الحقة لله تعالى إلا بالعصمة من الذنوب فقد أخطأ، فإنَّ الله تعالى لم يجعل العصمة لأحد بعد الأنبياء عليهم السلام، والناس كلُّهم أهل ذنوب ومعاصي كما ثبت ذلك في الحديث: (**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ: التَّوَّابُونَ**)[3] .

وإنَّ الفرق بين مذنب ومذنب: أنَّ الأول يذنب فيرجع إلى ربه ويتوب، والآخر يذنب ثم يتبع الذنب بالذنب يأسا من قبول الله لتوبته، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**)[4] .

---

(١) ينظر: التعريفات (ص٩٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم(٧٢٣٥)، وقال ابن حجر في الأمالي المطلقة(ص١٤٥): حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي برقم(٢٤٩٩)، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم برقم(٢٧٤٩).

خامسا: حسن الظن به:

حسن الظن بالله تعالى هو: توقع العبد للخير والصلاح والعفو والعطاء من الله سبحانه.

وهو من أجل العبادات القلبية، والله تعالى يحب من عباده أن يحسنوا الظن به، ومن لم يحسن الظن به فقد شابه فعال أهل الجاهلية، فهم الذين يسيئون الظنَّ بالله لعدم معرفتهم التامة به، قال الله تعالى بعد غزوة أحد: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٤.

وأمر النبي ﷺ بإحسان الظنِّ بالله تعالى مطلقا –وخاصة عند الموت– فقال: (**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**)[1] .

وإذا وقع العبد في معصية الله فليحسن الظنَّ بربه أنَّه يقبل توبته ويغفر ذنبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: (**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي**) [2] .

فحسن الظن بالله تعالى واجب في الأمور كلِّها، والله تعالى عند ظنِّ عبده به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**)[3] .

فإذا ظنَّ العبد بالله المغفرة غفر له، وإن ظنَّ الرزق الحلال رزقه حلالا، وإن ظنَّ التوفيق والسداد سدده للخير...وهكذا، فإن أساء الظنَّ بربه أتاه ما ظنَّه به.

---

(١) المصدر نفسه برقم(٢٨٧٧).

(٢) المصدر السابق برقم(٢٧٥٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٧٥٠٥) ومسلم برقم(٢٦٧٥).

الأدب مع النبي ﷺ

إنَّ من أعظم المنن أن أرسل الله إلى عباده رسولا منهم ليخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى أنوار الإيمان والتوحيد، فمن آمن به وصدَّقه واتبعه نجا، ومن لم يؤمن به وكذبه استحق الهلاك، قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر الذي يوزن عليه كل أحد).

وقد أوجب الله تعالى على من اتبع النبي ﷺ واجبات يقوم بها، وهي من لوازم الإيمان به عليه السلام، أبرزها ما يلي:

الأول: محبته:

المحبة ضد البغض، وهي المودة القلبية[1].

والمحبة التي تقع بين الناس نوعان: محبة اضطرار قد جُبلت النفوس عليها، كمحبة الوالد لولده والقريب لقريبه-وهذا النوع ليس داخلا تحت التكاليف الشرعية-. ومحبة اختيار: وهي التي عليها الأجر والثواب، كمحبة الله تعالى، ومحبة النبي ﷺ ، ومحبة الصالحين من الناس.

ويجب أن تكون منزلة النبي ﷺ في قلوب المؤمنين رفيعة، فلا إيمان لأحد من غير محبته عليه السلام، بل يقدَّم في المحبة على كل أحد، قال ﷺ: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**)[2] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحبَّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: (**لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكِ**). فقال له عمر: فإنَّه الآن والله

---

(١) ينظر: لسان العرب(٣/٤٥٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٥)، ومسلم برقم(٤٤).

لأنت أحبَّ إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: (**الْآنَ يَا عُمَرُ**)[1] . ومعنى الحديث: لا تكون صادقا في حبِّك لي إلا إذا آثرت طاعتي واتباعي ومرادي على هوى نفسك ومرادها وشهواتها، هناك تكون صادقا في محبتي.

وعلامات محبة العبد للنبي ﷺ تظهر في الاقتداء به، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، والتخلُّق بأخلاقه في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أنَّ من أحبَّ شيئا آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقا في حبِّه.

الثاني: طاعته واتباعه:

الطاعة ضد المعصية، يقال: أطاع الرجل الرجل، أي: خضع له وانقاد[2].

وإنَّ طاعة النبي ﷺ من لوازم الإيمان به، فمن آمن به لزمه أن يطيعه وإلا كان كاذبا في دعواه، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴿١﴾ ﴾ الأنفال: ١. وحذَّر الله تعالى من مخالفته فقال: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣ ،وحذر من منازعة أمره فقال: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال: ٤٦ .

بل إنَّ طاعته طاعة لله تعالى، فقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: (**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ**)[3] .

وطاعة النبي ﷺ واتباعه دليل على محبة العبد لربه عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١.

ولا سبيل لأحد من أمته إلى دخول الجنة إلا بطاعته واتباعه كما ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: (**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجنَّةَ إلا مَنْ أَبَى**)، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: (**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**)[4] .

وإنَّ لكل شيء حقيقة، وحقيقة الاتباع **أن يفعل العبد مثلما فعل النبي ﷺ (الهيئة)، على الوجه الذي فعل(القربة والعبادة)، لأجل أنَّه فعل (لا بالاتفاق).**

قال ابن تيمية رحمه الله: إذا فعل النبي ﷺ فعلا على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك، كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة وأن يستلم الحجر الأسود وأن يصلي خلف المقام. وأمَّا ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده – مثل أن ينزل بمكان

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٦٦٣٢).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط(٢/٥٧٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٧١٣٧)، ومسلم برقم(١٨٣٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم(٧٢٨٠).

ويصلي فيه لكونه نزله لا قصدا لتخصيصه به بالصلاة والنزول فيه – فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين؛ بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب، فقد ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمي عن المعروف بن سويد قال: كان عمر بن الخطاب في سفر فصلى الغداة ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون: صلى فيه النبي ﷺ. فقال عمر: (إنما هلك أهل الكتاب أنهم اتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعا فمن عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض)[1].

الثالث: توقيره ورفع مكانه فلا يوازيه أحد.

التوقير: التعظيم والتبجيل[2].

لقد رفع الله منزلة النبي ﷺ بين الأنبياء، فجعله خاتمهم، وسيدهم، واختصه بأكمل الشرائع، وأنزل عليه أعظم الكتب، وجعله رسول الثقلين، وأمر الناس بتوقيره وتعظيمه فقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ الفتح: ٨ - ٩، وذكر أهل التأويل أنَّ المقصود بالتوقير والتعظيم في الآية: النبي ﷺ.

وإنَّ من توقير النبي ﷺ تعظيم هديه وسنته، وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر، إذ زَكَّى الله تعالى منه القول فلا ينطق عن الهوى أبدا، إنَّما ينطق بالوحي: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ النجم: ١ - ٤.

وحرَّم الله تعالى التقدم بين يديه وتقديم قول أو رأي أحد من الناس على رأيه وقوله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ الحجرات: ١، أي: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله[3].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعظمون النبي ﷺ ويوقرونه، ولا يقدمون على قوله قول أحد كائنا من كان، بل ينهون الناس عن الاستهانة بقوله ولو كان بمقابلته بقول أعظم رجالات الإسلام بعده: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يفتي الناس بجواز التمتع بالعمرة إلى الحج– كما هي السنة– فعارضه عروة بن الزبير رحمه الله بأنَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا ينهيان عن ذلك. فقال له ابن عباس رضي الله عنه: أهما آثر عندك أم ما في كتاب الله وما سنَّ رسول الله ﷺ في أصحابه وفي أمته؟ فقال عروة: هما كانا أعلم بكتاب الله وما سن

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ٧٨).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط(٢/١٠٤٩).

(٣) ينظر: جامع البيان(٢٢/٢٧٢).

رسول الله ﷺ مني ومنك. قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقا على هذا: قد كان أبو بكر وعمر على ما وصفهما به عروة -أي من العلم بالكتاب والسنة- إلا أنَّه لا ينبغي أن يقلَّد أحد في ترك ما ثبتت به سنة رسول الله ﷺ (١).

الرابع: التحاكم إليه:

أنزل الله تعالى الكتب وأرسل الرسل عليهم السلام ليحكموا الناس بما شرعه لهم ربهم عز وجل، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣.

وجعل التحاكم إلى النبي ﷺ أمارة على صدق الإيمان فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥.

وأخبر أنَّه لا يمتنع عن التحاكم إليه إلا المنافقون والكافرون، فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ النور: ٤٧ - ٥٢.

وأمَّا من بموضع الولاية والقضاء وتطبيق الأحكام فنحى حكم الله وحكم رسوله ﷺ وحكم بغيره حكما عاما على الناس فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤.

والتحاكم يكون إلى النبي ﷺ في حياته، وأمَّا بعد موته فيكون إلى كتاب الله الذي جاء به والسنة الثابتة عنه عليه السلام.

الخامس: الصلاة عليه ﷺ:

الصلاة على النبي ﷺ تكون من الله بالرحمة والمغفرة، ومن الملائكة بالدعاء، ومن الناس بالثناء عليه وإظهار شرفه وفضله وحرمته(٢). وقد جمع الله تعالى هذه الصلوات الثلاث في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦. وأخبر النبي ﷺ بأجر الصلاة عليه فقال: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا)(٣).

---

(١) الفقيه والمتفقه(١/٢١١).

(٢) ينظر: جلاء الأفهام(ص١٦١).

(٣) أخرجه مسلم برقم(٤٠٨).

والصلاة عليه ﷺ مشروعة في كل الأوقات، وتعرض عليه وهو في قبره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**صَلُّوا عليَّ فإنَّ صَلاتكمْ تَبلُغني حَيثُ كُنتمْ**)[1] . وتتأكد في مواطن ثبتت بها النصوص، منها: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند إقامة الصلاة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة وليلتها، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه عليه السلام، وفي آخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند زيارة قبره ﷺ والسلام عليه وغير ذلك[2].

وقد ورد في الشرع ذم من ترك الصلاة على النبي ﷺ، حيث قال: (**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**)[3] . وقال أيضا: (**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**)[4] . فقوله ﷺ:(**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ**): مأخوذ من الرغام وهو: التراب، فمعنى أرغم الله أنفه أي: ألصقه بالرغام وأذله.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم(٢٠٤٢).

(٢) ألَّف ابن القيم رحمه الله كتابا في مواطن الصلاة على النبي ﷺ أسماه: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام. فليراجعه من أراد التوسع في ذلك.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم(١٧٣٦)، وهو صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي برقم(٣٥٤٥) وحسنه، وقال الألباني: حسن صحيح.

الوحدة السادسة

قواعد في الآداب الإسلامية الاجتماعية

إنَّ من المناسب أن أختم الحديث عن الأخلاق بجملة من القواعد الأخلاقية في الإسلام مرتبة على أبوابها ليكون استذكارها أسهل والانتفاع بها أتم بإذن الله[١]، وهي على النحو الآتي:

أخلاق وآداب عامة:

هذه أخلاق وآداب عامة ينبغي أن يمتثلها المسلم في جميع أحواله:

١) أَحِبَّ للناس ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لها، ففي الحديث: (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**)[٢].

٢) انتقد نفسك قبل انتقادك للآخرين، فإنَّه يدفعك لتغيير أخلاقك، قال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك وانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُقبل ما وعظت ويُقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم

٣) ليكن همُّك إصلاح باطنك فإن صَلَح فسيصلح الظاهر، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**)[٣].

٤) تذكر أنَّ عليك واجبات للناس كما أنَّ لك حقوقا عليهم، فلا تطلب الحقوق إلا وقد أدَّيت الواجبات.

٥) لا تعذر نفسك في الأخطاء الصغيرة فإنَّها طريق إلى أكبر منها.

٦) حسِّن أخلاقك مع الجميع: القريب والبعيد، والصديق والعدو، والقوي والضعيف، والغني والفقير.

٧) لا تفخر على أحد مهما بلغت من المنزلة، فالفخر خُلُق قبيح، وأقبح منه فخر الإنسان بما ليس من كسبه، كنسب ومالٍ وجمال، أو لون وعرق وبلد.

٨) خذ من الناس أحسن ما فيهم تكن أكملهم خُلُقا.

٩) اجعل جزاء السيئةِ الحسنةَ، وقابلها بالعفو والصفح.

---

(١) ألف الأستاذ الدكتور: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي كتابا سماه: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، وهو مؤلف بطريقة سهلة ومبتكرة يحسن الرجوع إليه للاستزادة.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٣)، ومسلم برقم(٤٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٢)، ومسلم برقم(١٥٩٩).

١٠) لا ترفع صوتك أكثر من الحاجة، خاصة في الأماكن العامة، فقد سُئلت عائشة ﵂ عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: (**لَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ –الصخب: الصوت العالي– وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**)[١].

١١) الأماكن العامة كالطرق والمرافق والحدائق وضعت للانتفاع المشترك بين الناس، فلا تتصرف فيها بما فيه تعدٍ على الآخرين.

١٢) إذا رأيت من الناس سوء أدب، كنفض اليد في الإناء عند الأكل، ووضع الإصبع في الأنف، ورمي النفايات في الطريق وجوار الحاويات، والتدخين في الأماكن العامة، فاجتنبه فإن ذلك تهذيب لأخلاقك.

١٣) احترامك للنظام ومراعاة التسلسل في الطوابير أمارة على احترامك لذاتك.

آداب اللباس والزينة:

١) اجتنب المحرم من اللباس والزينة، كالذهب والحرير فإنهما محرمان على الرجال، مباحان للنساء.

٢) التوسط والاعتدال في استعمال الزينة المباحة بلا مبالغة فيها ولا إسراف.

٣) النظافة أساس في اللباس والزينة؛ لأنَّ المسلم نظيف الظاهر والباطن.

٤) العناية بإصلاح الشعر وتسريحه والعناية به.

٥) البدء باليمين عند اللباس.

٦) المحافظة على أذكار اللباس، ومنها قول النبي ﷺ: (**اللهم لكَ الحمدُ، أنتَ كسَوْتَنِيهِ، أسالُكَ مِن خَيرِه، وخَيرِ ما صُنِع له، وأعُوذُ بِك مِنْ شرِّهِ، وشرِّ ما صُنِعَ له**)[٢].

٧) يحرم تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة، فعن ابن عباس ﵄ قال: (**لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**)[٣].

٨) تحريم لبس ثياب الشهرة والاختيال، لقول النبي ﷺ: (**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ**)[٤].

٩) يحرم في الزينة تغيير خلق الله بالوشم[٥] أو الوشر[١] أو النمص[٢] أو غيرها، قال تعالى عن مكيدة الشيطان لابن آدم: ﴿**وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ**

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(٢٠١٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود برقم(٤٠٢٠)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري برقم(٥٨٨٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم(٣٦٠٦)، وحسنه الألباني.

(٥) الوشم : أن يُغْرَز الجلد بإبْرة ثم يُحْشى بكُحل أو نيلٍ فيزرَقّ أثره أو يَخضَر. النهاية في غريب الحديث(٩٧٤).

﴿ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾ النساء: ١١٩، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ : (**لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ**[٣]، **وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ**)[٤].

آداب المجالسة والمحادثة:

إنَّ من أبرز الآداب التي ينبغي للمسلم أن يلتزم بها عند محادثة الناس ومجالستهم مايلي:

١) خفض الصوت إلا لحاجة، كحاجة الخطيب وقت الخطبة، والمحذِّر للناس المنذر لهم من خطر قد يداهمهم؛ لقوله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ لقمان: ١٩ .

٢) الحذر من الثرثرة والتشدق وتكلف الفصاحة، لقول النبي ﷺ: (**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ**)، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ**: (**المُتَكَبِّرُونَ**)[٥].

٣) الإنصات والاستماع للمتكلم وعدم مقاطعته حتى يتم حديثه.

٤) مخاطبة الناس على قدر عقولهم وبما يفهمونه ويدركون معناه صيانة لهم عن الضلال والفتنة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (**حدِّثوا الناسَ بما يَعرفونَ، أتُحبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه ؟**)[٦] .

٥) الترسُّل في الكلام وعدم العجلة؛ ليُعرف قصده ويُفهم مراده، فقد روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها: **أنَّ النبي ﷺ (يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ)**[٧] .

٦) إعادة الكلام المهم الذي يصعب على بعض المستمعين فهمه من مرة واحدة، وهذا معنى قول أنس رضي الله عنه: (**كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه**)[٨] .

٧) الإقبال على المتحدث بالوجه وإشعاره بالاهتمام، كما قال الصحابة في وصف حالهم مع النبي ﷺ: (**إذا خطب التفتوا بوجوههم إليه**)[٩] .

---

(١) الوشر: تحديد الأسنان وترقيقها تفعله المرأة الكبيرة تشبها بالصغيرات. ينظر: المصدر نفسه(٩٧٣).

(٢) النمص: نتف الشعر النابت في الوجه كالحاجبين ونحوها. ينظر: المصدر السابق(٩٤٣)

(٣) الوصل: التي تَصِل شعرها بشعرٍ آخر زُورٍ. ينظر: المصدر السابق(٩٧٥)

(٤) أخرجه مسلم برقم(٢١٢٤).

(٥) أخرجه الترمذي برقم(٢٠١٨)، وصححه الألباني.

(٦) أخرجه البخاري برقم(١٢٧).

(٧) المصدر نفسه برقم(٣٥٦٧).

(٨) المصدر السابق برقم(٩٤).

(٩) أخرجه ابن ماجه برقم(١١٣٦٩)، وصححه الألباني.

٨) اجتناب الألفاظ البذيئة وغير المؤدبة، لأنَّ النبي ﷺ ما كان فاحشاً ولا متفحشاً.

٩) اجتناب التناجي بين الاثنين دون ثالثهما، لقول النبي ﷺ: (**إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ**[1])[2] .

١٠) حفظ سرُّ المتكلم إذا صرحَّ بأنَّه لا يريد نشره، وكذلك لو لم يطلب كتمانه ولكن فُهم من خصوصية الخبر أنَّه غير مناسب للنشر فلا يُنشر.

١١) عدم هجر المسلم لإخوانه المسلمين فوق ثلاثة أيام.

آداب التسوق:

إنَّ حاجة الناس تدفعهم لنزول الأسواق، ولكن ينبغي عند النزول الالتزام بالآداب الإسلامية الآتية:

١) حجاب المرأة المحتشم عنوان عفتها وسبب كرامتها.

٢) دخول النساء للأسواق المختلطة لا يكون إلا بصحبة محرمها.

٣) إعداد قائمة بالاحتياجات قبل دخول السوق يوفر الجهد والوقت والمال.

٤) لا تخدعنَّك العبارات الدعائية، فأسعار السلع ترتبط بالدعاية والتسويق.

٥) لا تشتر إلا ما يوافق الشرع من الألبسة واطلب إجراء التعديلات على ما لم يكن مناسبا.

٦) خضوع المرأة بالقول وكثرة الكلام مع الباعة يثير الرجال ويدعو إلى إساءة الظن بها.

٧) السوق ليس مكانا لنزهة الأسرة فلا يذهب للسوق إلا من له حاجة.

٨) تطيب النساء عند النزول للسوق مخالفة للشرع.

٩) غض البصر فريضة شرعية.

١٠) الحذر من الممارسات المخلَّة بالحياء والحشمة، كتماسك الزوجين بأيديهما، أو التمايل والالتصاق بعضهما، ونحوه.

آداب دخول المشافي:

ينبغي لمن احتاج الذهاب للمشافي للعلاج أو الزيارة مراعاة مايلي:

١) يلزم جلوس الرجال مع الرجال والنساء مع النساء في صالات الانتظار.

٢) لا يكشف المسلم عورته إلا للضرورة القصوى وبقدر الحاجة.

٣) لا ينبغي دخول الرجال لعيادة الطبيبة إلا للحاجة الملحة، وكذلك دخول المرأة لعيادات الأطباء.

---

(١) علة النهي: حتى لا يحزن المنفرد؛ لأنَّه قد يظن أنَّه المقصود بتلك المناجاة. ومثل ذلك لو كان الحديث بلغة أخرى لا يفهمها المنفرد.

(٢) أخرجه البخاري برقم(٦٢٩٠).

٤) الإطالة عند زيارة المريض فعل مذموم، وكان السلف يُقدِّرون الزيارة بمقدار جلوس الخطيب بين الخطبتين يوم الجمعة.

٥) لا تزعج المراجعين في أماكن الانتظار بحديث أو مكالمة بصوت عال.

٦) الحذر من الخلوة بالمرأة الأجنبية في المصاعد والغرف ونحوها.

٧) لا تُجلس أطفالك على المقاعد والكبار وقوف.

٨) الجلوس بحشمة وأدب عنوان رقي الأخلاق فلا يليق مدُّ القدم أمام الناس أو وضع الرجل على الأخرى وهي تشير إلى أحد الجلوس.

٩) تأكد من إغلاق باب العيادة بعد الدخول كي لا يطَّلع أحدٌ على أمرٍ يسوؤك اطِّلاعهم عليه.

١٠) إنكار النساء على الرجال الذين يدخلون العيادات أو غرف التنويم الخاصة بهن أمارة عفتهن.

١١) الجلوس متوسطا كرسيين يحرم غيرك الجلوس.

آداب ركوب الطائرة:

إذا احتاج المسلم للسفر وركوب الطائرات فليكن ملتزما بالآداب الآتية:

١) اجلس في مقعدك المخصص لك، وإذا اردت تغييره فاستأذن الطاقم المسؤول عن ذلك.

٢) لا تجلس بجوار من ليست لك بمحرم إلا إذا غلبك الأمر ولم تستطع تغيير المقعد.

٣) الإصغاء لتعليمات الملاحين وتنفيذها دليل على وعي المسافر واحترامه للنظام.

٤) الحياء والحشمة في اللباس والتصرفات أمارة على مستوى ثقافة الإنسان.

٥) الحديث بين الرجال وطاقم الطائرة من النساء يكون متزنا وبقدر الحاجة.

٦) الترفع عن بعض الممارسات غير اللائقة كالمزاح ورفع الصوت.

٧) إظهار المرأة للزينة من اللباس والحلي، أو الطيب أمر محرم شرعا.

٨) كثرة القيام والحركة في الطائرة لغير حاجة أمر غير محبَّذ.

٩) الوقوف في ممرات الطائرة حال نزولها وقبل فتح الأبواب، والتزاحم حال الصعود أو النزول غير لائق.

١٠) كلما كان جلوس النساء في المقاعد الداخلية والرجال على الممرات كان أفضل.

١١) التريُّث عند النزول من الطائرة حتى تخفَّ الزحام أفضل، خاصة لمن كان معه عوائل وأطفال.

١٢) الأولى بالجلوس على المقاعد في سيارات النقل في المطارات كبار السن والنساء.

آداب الاتصال:

يحتاج المسلم لاستعمال وسائل الاتصال الحديثة فينبغي له مراعاة الآداب الإسلامية الآتية:

١) اختيار الوقت المناسب للاتصال حتى لا تؤذي الآخرين.

٢) تكرار الاتصال مباشرة في حالة عدم الرد غير مناسب.

٣) البدء بالسلام من قِبَل المتصل وردُّ السلام من المتصل عليه، وختم المكالمة بالسلام أيضا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيُسَلِّمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ)**[١] .

٤) خفض الصوت عند الحديث بشرط أن يكون مسموعا.

٥) عدم استعمال الموسيقى في النغمات أو شغل وقت الانتظار.

٦) الاقتصاد في المكالمة فليس في الإكثار فائدة.

٧) لا ينبغي إحراج المُتَّصَل عليه بامتحانه بقوله: هل تعرفني؟ فإذا قال: لا، يلام ويعاتب على نسيانه وعدم حفظه لرقم الهاتف... إلخ.

٨) إذا لم يردَّ المتصل عليه فالتمس له عذرا فقد يكون مريضاً، أو في مكان لا يناسب للحديث، كأن يكون في مسجد، أو مقبرة، أو بين أناس لا يَوَدُّ أن يقطع حديثهم ونحو ذلك؛ فإذا لم يرد، أو رد رداً مقتضباً، أو كانت الحفاوة أقل من المعتاد فابسط له العذر، ولا تسيء به الظن.

٩) إغلاق الجوال أو وضعه على الصامت عند دخول المساجد وقاعات الدروس...ونحوها.

١٠) إنَّ استعمال الهاتف في المساجد، ومجالس أهل العلم والأكابر، واجتماعات العمل ونحوها فعل غير مناسب.

١١) تسجيل المكالمات، أو وضع الهاتف على مكبر الصوت بحضرة الآخرين لا ينبغي إلا بعد استئذان الطرف الآخر في المكالمة.

١٢) النظر في جوالات الآخرين واستعراض الرسائل دون رضاهم سوء أدب؛ لما في ذلك من التطفل وكشف الستر، وهو ضرب من ضروب الخيانة.

١٣) المبادرة إلى الإنكار بالرفق واللين على من أرسل رسالة لا تليق.

١٤) لا يجوز استعمال الهاتف للإضرار بالناس وترويعهم.

آداب استخدام الشبكة العالمية(الانترنت):

إنَّ من أهم آداب وأخلاق استخدام الشبكة العالمية مايلي:

١) حدد هدفك من الدخول إلى الشبكة تجنبا لهدر الوقت فيما لا فائدة فيه.

٢) احترم المستخدمين للشبكة فلا تسخر من آرائهم، ولا تسيء الأدب وتفحش القول لهم، فإن رأيت أو سمعت خطأ فردَّ بأدب مع بيان الحجة والدليل.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم(٥٢٠٨)، وقال الألباني: حسن صحيح.

٣) لا تفعل مايضر بالآخرين بما يسمى(Hackers)، ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: (**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**)[١] .

٤) ركِّز عباراتك عند طرح أفكارك بعبارات سليمة واضحة، وتجنب التطويل والتكرار؛ لأنَّه يؤدي إلى الملل.

٥) كل ما تكتبه أو تشارك فيه يعبر عن شخصيتك واهتماماتك، فكن قدوة في معالي الأمور ودع سفاسفها.

٦) الانترنت وإن كان عالما افتراضيا إلا أنَّه لا يُسوِّغ ترك الأحكام الشرعية وارتكاب المحرمات.

٧) يجب احترام الخصوصيات وعدم اختراقها.

٨) الحذر من دخول المواقع المشبوهة وخاصة المخالفة للدين والأخلاق، فإنَّها سرعان ما تؤثر في مرتاديها.

٩) احترم الحقوق الفكرية لما يُطرح في الشبكة من المواد، فإن استفدت من شيء منها فانسبه لصاحبه.

١٠) لا تنقل أو تعيد إرسال كل ما يرد إليك، فالمسلم كيِّس فطن، ولكن انظر فيها فإن وجدتها لا تخالف الدين والأخلاق وليس فيها إساءة لأحد فانشرها وإلا فاطَّرحها.

١١) لا ترسل ولا تتبادل الصور عبر البريد أو المواقع والمنتديات ووسائل التواصل الاجتماعي إلا أن تكون محتشمة، لأنها قد تُستعمل وسيلة لابتزاز أصحابها.

آداب قيادة السيارة:

ينبغي عند قيادة السيارة مراعاة الآداب الآتية:

١) عند قيادتك للسيارة عامل الناس بمثل ما تحبُّ أن يعاملوك به.

٢) لا تنحرف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مباشرة؛ بل بالتدريج حتى لا تؤذي الآخرين.

٣) رمي النفايات من نوافذ السيارة من سوء الأدب.

٤) استعمل الإشارات الضوئية لتكشف للآخرين الاتجاه الذي تريده.

٥) احترام المشاة على الطريق والحرص على عدم إيذائهم أو ترويعهم خلق عالي.

٦) عند إرادة تغيير الاتجاه أو الدخول إلى طريق رئيسي أنظر إلى الاتجاهين لتدخل بأمان.

٧) أخلاق السائقين الحقيقية تظهر عند الاختناقات المرورية.

٨) لا تستعمل المنبه إلا عند الحاجة القصوى، وليكن استعمالا مؤدبا.

٩) اترك مسافة بينك وبين السيارة التي أمامك تحسبا لأي طارئ.

١٠) اجعل سيرك في أقصى يمين الطريق لتترك فرصة لمن يريد التجاوز.

١١) احترام الإشارات الضوئية، واحترام أولوية المرور في الطرقات دليل على سمو الأخلاق.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٩٩)، ومسلم برقم(٤١).

الوحدة السابعة

أخلاق المهنة، وطرق اكتساب الأخلاق

تعريف المهنة:

المهنة في اللغة: الحذق بالخدمة والعمل. وفي نطقها أربع لغات صحيحة: المَهْنَة والمِهْنَة والمَهَنَة والمَهِنَة[1].

وفي الاصطلاح: **كل عمل مباح يُعمل فيه لأجل الكسب أو خدمة الناس.**

والمهن تتعدد وتتنوع بحسب حاجة المجتمعات في كل زمان، فمنها المهن الدينية: كالقضاء، والحسبة، والإفتاء. والعلمية، والصناعية، والإدارية، والتربوية... .

والعمل بالمهن سنَّة من سنن الأنبياء عليهم السلام، قال محمد بن الحسن الشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ: في الآثار أنَّ آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض أتاه جبرائيل عليه السلام بالحنطة وأمره بأن يزرعها، فزرعها وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وخبزها، وكذا نوح عليه السلام كان نجارا يأكل من كسبه، وإدريس عليه السلام كان خياطا، وابراهيم عليه السلام كان بزازا -أي: بائع ثياب- وداود عليه السلام كان يأكل من كسبه من صنعه الدروع، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ الأنبياء: ٨٠، فكان يصنع الدرع ويبيعه باثني عشر ألفا، فكان يأكل من ذلك ويتصدق، وسليمان عليه السلام كان يصنع المكاتل من الخوص، وزكريا عليه السلام كان نجارا، ونبينا ﷺ كان يرعى الغنم قبل مبعثه، وشارك رجلا من أهل مكة في تجارة الأدم[2].

وقد جعل النبي ﷺ السعي وطلب الرزق من السعي في سبيل الله تعالى، فقد روى كعب بن عجرة رضي الله عنه أنَّ رجلا مرَّ على النبي ﷺ فرأى أصحابُ النبي ﷺ من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟! فقال رسول الله ﷺ: **(إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّها فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ)**[3] .

تعريف أخلاق المهنة:

هي مجموعة الأخلاق والقيم اللازمة لمن يقوم بالمهن.

---

(١) ينظر: لسان العرب(١٣/٤٢٤).

(٢) الكسب (ص ٣٥، ٣٦)بتصرف.

(٣) سبق تخريجه.

وتنقسم أخلاق المهنة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أخلاق في ذات القائم بالمهنة.

الثاني: أخلاق مع المستفيدين من المهنة.

الثالث: أخلاق مع زملاء المهنة.

وسأذكر أبرز هذه الأخلاق من غير تمييز بينها:

١) **استحضار النية الصالحة** وهي اكتساب رضا الله تعالى، فالنية الصالحة اذا اقترنت بأي عمل طيب صيَّرته عبادة لله تعالى، جاء في الحديث: (**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**)[١] .

فالمعلم والطبيب والقاضي والشرطي ينوون جميعا طلب مرضاة الله تعالى بقيامهم بأعمالهم الوظيفية فيؤجرون عليها.

٢) **استمرار التعلم**: كل وظيفة لها علومها ومهاراتها، وحتى يكون الموظف قائما بها على وجهها الأتم الأكمل لابد من متابعة كل جديد يتعلق بها.

٣) **تهذيب النفس**: ويكون هذا بالتخلق بأخلاق الإسلام أولا ثم بأخلاق المهنة التي يعمل بها من الأدب، واحترام الناس، وحسن المظهر، وطيب الكلام...إلخ

٤) **القناعة**: فإنَّ قناعة الإنسان بما كتبه الله له من هذه المهن يدفعه إلى مزيد من التمكن فيها والقيام بحقها بروح متفائلة ونفس راضية وقلب مطمئن، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقنَّعه اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**)[٢] .

٥) **الورع والبعد عن الشبهات**: كل مهنة تُدِرُّ على صاحبها دخلا ماديا هو من رزق الله له، فبالورع يأخذ المسلم ما أحلَّ الله له من المال ويترك ما خالطته شبهة الحرام، ويحذر من الاغترار بكثرة المال فيأخذ ما لا يحل له، فيكون بذلك قد أدخل على نفسه كسبا حراما، فعن أبي هريرة ط عن النبي ﷺ قال: (**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ**)[٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٤٩١)، ومسلم برقم(١٣١).

(٢) أخرجه مسلم برقم(١٠٥٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم(٢٠٥٩).

٦) **الحذر من الكذب والخيانة عند أداء المهنة:** فعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول اللهﷺ يقول: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**)[١].

٧) **الحرص على نفع الناس من خلال مهنته:** فعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**)[٢] .

٨) **الحذر من العُجب والكبر:** العجب تكبر الباطن الذي يورث الكبر في الظاهر، وإنَّ النفس ضعيفة فمتى وجدَت أنها تميزت عن غيرها أُعجبت بما آتاها الله من فضله فتعالت وتكبرت على الناس، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**)[٣] .

٩) **إتقان العمل على الوجه الأكمل حسب المستطاع:** فعن عائشة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ**)[٤] .

١٠) **حفظ الأسرار:** قد يطَّلع الإنسان في عمله على أسرار الناس وخاصة أمورهم فيجب أن يكون كتوما حافظا لما اطَّلع عليه منه ولا يظهره لأحد؛ لإنَّ ذلك من الأمانة، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا، حدَّث الرجلُ بالحديثِ ثمَّ التفتَ فهيَ أمانةٌ**)[٥] .

١١) **القوة والأمانة:** قال الله تعالى على لسان ابنة صاحب مدين عن موسى ÷: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦. القوة: القدرة على القيام بالمهنة، والأمانة في أدائها على وجهها.

١٢) **التعاون مع زملاء العمل لإنجاح المهنة وانتفاع المستفيدين:** قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٧)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم(٥٧٨٧)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري برقم(٥٧٨٩).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم(٨٩٧)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٦٨)، وحسنه الألباني.

طرق اكتساب الأخلاق

إنَّ كل من أُعجب بشيء سعى لتحصيله، فمن أدرك أهمية الأخلاق الحسنة في نيل مرضات الله ودخول جنته، وما يتبع ذلك من قبول الناس لشخصه وحبِّهم له لزمه السعي لاكتساب كل خلق حميد والتخلص من كل خلق ذميم، وهنا بعض الوسائل والطرق التي تعين الإنسان على اكتساب ما تصبو إليه نفسه من الأخلاق الحسنة:

الأول: تقوية الجانب الإيماني:

إنَّ تقوية الإنسان للجانب الديني في قلبه أشد الأسباب الدافعة إلى تهذيب نفسه وإكسابها الفضائل، وذلك للارتباط بين الأخلاق ومستوى الإيمان في القلب، قال النبي ﷺ: (**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**)[1]

ومما يزيد الإيمان في القلب القيام بأداء العبادات المشروعة، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: ﴿ **ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾** ﴾ العنكبوت: ٤٥ ، والزكاة تطهر النفس من البخل والشح ومساوئ الأخلاق ورذائل الطباع: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾** ﴾ التوبة: ١٠٣، والصيام يمنع صاحبه من الزور في الأقوال والأفعال: (**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**)[2]. وهكذا نجد سائر العبادات لها أثر كبير في تهذيب أخلاق المؤمن، وهو باب يطول بيانه لكنه واضح لكل من عرف مقاصد العبادات في الشريعة الإسلامية.

الثاني: التدريب وترويض النفس على الأخلاق الحسنة:

النفس كالفرس الجموح لا تكاد تطيع صاحبها، ولا يزال بها ترويضا وتعويدا حتى تكون أطوع شيء في يده، ولهذا ثبت في الحديث: (**مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**)[3] . فرتب بمن الشرطية حصول العفة والغنى والصبر على أفعال يقوم بها العبد، فإذا حقق الشرط وقع المشروط.

وقد ذكر النبي ﷺ أنَّ مجاهدة العبد لنفسه وإلزامها بالخلق الحسن تُبوِّؤه المنازل الرفيعة عند الله، وضدها يبعده، فقال: (**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ**

---

(١) أخرجه أبو داود برقم(٤٦٨٢). وقال الألباني: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم(٦٠٥٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٤٦٩)، ومسلم برقم(١٠٥٣).

يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)[1] .

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "في هذه الزيادة-قوله: ويتحرى- إشارة إلى أنَّ من توقى الكذب بالقصد الصحيح إلى الصدق صار له الصدق سجية حتى يستحق الوصف به، وكذلك عكسه"[2].

وقال الميداني رَحِمَهُ اللَّهُ: ضرب الرسول ﷺ مثلا دلَّ فيه على أنَّ التدريب العملي ولو مع التكلف يكسب العادة الخُلُقية، حتى يصير الإنسان معطاء غير بخيل، ولو لم يكن كذلك أول الأمر. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ)**[3] .

فدل هذا الحديث على أنَّ المنفق والبخيل كانا في أول الأمر متساويين في مقدار الدرعين، أمَّا المنفق فقد ربت درعه بالإنفاق حتى غطَّت جسمه كلَّه، بخلاف البخيل الذي لم يدرب نفسه على الإنفاق، فإنَّ نفسه تكز، والله يضيق عليه من وراء ذلك، فيكون البخل خُلُقا متمكنا من نفسه مسيطرا عليها.

ولكن من الملاحظ أنه قد يبدأ التخلق بخلق ما عملا شاقا على النفس إذا لم يكن في أصل طبيعتها الفطرية، ولكنه بتدريب النفس عليه، وبالتمرس والمران، يصبح سجية ثابتة، يندفع الإنسان إلى ممارسة ظواهرها اندفاعا ذاتيا، دون أن يجد أية مشقة أو معارضة أو عقبة من داخل نفسه، ولئن وجد شيئا من ذلك فإنَّ دافع الخلق المكتسب يظل هو الدافع الأغلب، بشرط أن يكون التخلُّق قد تحوَّل فعلا إلى خلق مكتسب"[4].

وإنَّ ترويض النفوس على الصفات الحسنة نوع من المجاهدة المطلوبة شرعا، والتي لا بد أن ينجح من بذل جهده فيها تحقيقا لوعد الله له بذلك، قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾** ﴾ العنكبوت: ٦٩، وإنَّ بذل الإنسان جهده لاكتساب أمر من الأمور المشروعة يحولها إلى عادة مع طول المجاهدة والصبر، لما روى معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال: **(الْخَيْرُ عَادَةٌ)**[5] .

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري(١٧ /٢٦٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم(١٤٤٣).

(٤) ينظر: الأخلاق الإسلامية (١/٢٠٩، ٢١٠) بتصرف يسير.

(٥) أخرجه ابن ماجه برقم(٢٢١)، وحسنه الألباني.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: "اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب؛ فمن أراد مثلا أن يُحصِّل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه، فيصير به جوادا، وكذا من أراد أن يُحصِّل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهدا نفسه ومتكلفا إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا، فيتيسر عليه.

وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا، فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع، ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها"[1].

الثالث: التأمل في الآثار الطيبة لحسن الخلق.

لقد ثبت في الشرع نصوص كثيرة تبين آثار الأخلاق الحميدة على الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا: أنها تعمر الديار، وتزيد في أعمار أصحابها. فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: (**صِلَةُ الرَّحِمِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**)[2].

وأما في الآخرة: فهي أثقل ما يقع في ميزان العبد، فقد روى أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (**أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ**)[3] . وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**)[4] .

وقد أخبر النبي ﷺ بمنزلة أهل الأخلاق منه في الآخرة قربا وبعدا فقال: (**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ**[5] **وَالمُتَشَدِّقُونَ**[1] **وَالمُتَفَيْهِقُونَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ **قَالَ**: «**المُتَكَبِّرُونَ**»[2].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/٥٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند بإسناد صحيح برقم(٢٥٢٥٩).

(٣) المصدر نفسه بإسناد صحيح برقم(٢٧٥٥٥).

(٤) أخرجه أبو داود برقم(٤٨٠٠) وحسنه الألباني.

(٥) الثرثارون: الذين يكثرون الكلام ويرددونه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(ص١٢١).

الرابع: مخالطة أهل الفضل والخلق الحسن:

معلوم أنَّ الإنسان مجبول على مخالطة الناس من حوله، وهو مؤثر فيهم متأثر بهم لا ريب، فمتى اختار لنفسه صحبة صالحة من أهل الفضل اكتسب من خلقهم ودلِّهم الحسن، وهذا معلوم مشاهد في الواقع، فالذي ينشأ في مجتمع كريم يكون في الغالب كريما، ومن عاش مع أهل الشجاعة والقوة صار شجاعا قويا مثلهم، ومن خالط أهل العلم حصَّل من علومهم وانتفع بأقوالهم وأفعالهم...وهكذا. قال أبو حاتم البستي رَحِمَهُ اللَّهُ: "العاقل يلزم صحبة الأخيار ويفارق صحبة الأشرار؛ لأنَّ مودة الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن-أي: صاحب- الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم. فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريبا، فكما أنَّ صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشر"(٣).

عليك بإخوان الثقات فإنهم قليل فصِلْهم دون من كنت تصحب
ونفسك أكرمها وصنها فإنَّها متى ما تجالس سَفِلَة الناس تعطب.

الخامس: قراءة كتب الأخلاق والسير.

لقد توالت رتب أهل الفضل من المسلمين، فأكرمهم وأعظمهم منزلة وأكثرهم اتصافا بما أُنزل إليهم من ربهم بعد النبي ﷺ الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم التابعون، ثم من تابعهم واقتدى بهم على مرِّ العصور...لذا كان كل جيل منهم قدوة لمن جاء بعده من الأجيال، فإذا اطَّلع اللاحق على ما كان للسابق من طيب أخلاق وكريم سجايا وحسن معاشرة سَمَت نفسه للاقتداء بهم والتشبه بفعالهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبه بالكرام فلاح

وإنَّ السبيل لمعرفة ما كانوا عليه من الفضل هو الاطلاع على سيرهم، وقراءة مآثرهم وكتبهم وما نقله أهل العلم عنهم، فلقد كان هذا منهج علماء السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال شقيق البلخي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل لعبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا أنت صليت لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم(٤).

وإنَّ مطالعة المسلم لسير من سبقه من الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء والأدباء والقادة والحكام يُكسبه أخلاقا حسنة، إذ يطَّلع على الحسن فيقتدي به والسيء فيجتنبه؛ فيكون بذلك مهذبا

---

(١) المتشدقون: هم الذين يتوسَّعون في الكلام ويَفْتَحون به أفواههم. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(ص٤٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم(٢٠١٨)، وصححه الألباني.

(٣) روضة العقلاء (ص١٠٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣٩٨/٨).

لأخلاقه مؤدبا لنفسه، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "عليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤيةٌ لهم"[1] . وقال أيضا: "إنما يتقوم الانسان بالرياضة- يعني تعويد النفس وتدريبها- ومطالعة سير السلف، وأكثر القوم في بعدٍ عن هذا، وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه؛ فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد"[2].

وحتى تتضح أهمية هذا فلنقرأ أنموذجا مما خطته يد أبي حامد الغزالى رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان بعض الآداب والأخلاق التي ينبغي للمسلم الاتصاف بها حيث قال: إن أردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم، وتوقير من غير كبر، وتواضع من غير مذلة، وكن في جميع أمورك في أوسطها، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

وتحفظ من تشبيك أصابعك، والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال أصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك وتنخمك، وكثرة التثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرهما.

وليكن مجلسك هاديا، وحديثك منظوما مرتبا، واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته.

ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، وتوقَّ كثرة الكحل والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجع أحدا على الظلم.

ولِنْ لأهلك من غير ضعف، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الإشارة بيديك ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك.

وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم، وترك التخطي لمن سبق، والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع، وأن تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس.

ولا تجلس على الطريق، فإن جلست فأدبه: غض البصر، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وعون الضعيف، وإرشاد الضال، وردُّ السلام، وإعطاء السائل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب؛ فإنَّ اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترىء عليك؛ لأنَّ المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه، ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه ويجرىء السفيه، ويسقط المنزلة عند الحكيم، وهو يميت القلب، ويباعد عن الرب تعالى، ويكسب الغفلة، ويورث الذلة، وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر، وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب.

---

(١) صيد الخاطر (ص٤٤٠).

(٢) تلبيس إبليس (ص١٥٠).

ومن بُلِي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبي ﷺ: **(مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ)**[1]. [2].

وصدق من قال مادحا الكتب التي تروي الأخبار وتذكر الوقائع والأحداث:

لنا جلساء ما نملُّ حديثهم ... ألباء مأمونون غيبا ومشهدا

يُفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا يتقى منهم لسانا ولا يدا

فإن قلت: أموات، فلا أنت كاذب ... وإن قلت: أحياء فلست مفندا

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(٣٤٣٣)،وصححه الألباني.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين (٢ /١٩٢،١٩٣)بتصرف يسير.

الباب الثالث:

النظام الاجتماعي في الإسلام:

الوحدة الأولى: الأسرة في الإسلام:

الوحدة الثانية: المرأة في الإسلام:

الوحدة الثالثة: الشخصية الإسلامية:

الوحدة الأولى

الأسرة في الإسلام

تعريف الأسرة وأهميتها:

تطلق الأسرة في اللغة على ثلاثة معان: الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرته، والجماعة يربطها أمر مشترك(١).

وفي الاصطلاح: هي أصغر وحدة في النظام المجتمعي.

وذلك أنَّ علماء الأنساب يُقسِّمون السلالة البشرية باعتبار الكثرة والقلة فيما ينحدر بعضه من بعض- على اختلاف بينهم في التقديم والتأخير- فأكثرها الشَّعْبُ، وهو يجمع أكثر من قبيلة، ثم القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العشيرة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الأسرة(٢).

ويقسم بعض العلماء الأسرة إلى ثلاثة أنواع:

الأول: الأسرة الكبيرة: وهي التي تتكون من أب أكبر وزوجته، ومعهما أولادهما وأزواجهم وأولادهم، وهم يقيمون في الغالب في مسكن واحد أو مساكن متعدد ولكن متقاربة، وعيشهم سويا تحت إشراف الأب الأكبر، دون أن يكون لأحد استقلاله المادي، وهذا النمط من الأسر لا يكاد يوجد الآن.

الثاني: الأسرة المركبة: وهي التي يكون فيها للأب أكثر من زوجة، ومعه أبناؤه منهن، ويقوم الأب بمسؤولية الأسرة ورعاية شؤونها في استقلال مادي تام، مع بقاء روابطه الاجتماعية مع الأسر القريبة منه.

الثالث: الأسرة الصغيرة: وهي كالمركبة إلا أنَّ الأب ليس له إلا زوجة واحده فقط.

وقد ذكر الله تعالى للناس قصة خلقهم وكيفية تناسلهم وتكاثرهم في الدنيا، فأخبر أنَّه خلق آدم بيده ثم خلق من جنبه زوجه حواء، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ النساء: ١، وجعل بين الزوجين من المودة والرحمة ما تقوم به الحياة فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجٗا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ الروم: ٢١، وجعل اللقاء بينهما سببا للتوالد والتكاثر فقال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨﴾ السجدة: ٧ - ٨، ونوَّع الله تعالى بينهم في الأولاد، فمنهم من يرزقه البنين، ومنهم من يرزقه البنات، ومنهم من يجعل ذريته بنين وبنات، ومنهم من يمنعه الولد لحكمة يعلمها، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠﴾ الشورى: ٤٩ - ٥٠.

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط(١/١٧).

(٢) ينظر: تاج العروس(٣٤/٢٦١).

وقد جعل الله الأسرة هي القرار للزوجين، وقسَّم بينهما المهام ليقوم كل منهما بواجبه في بناء الأسرة ورعاية الأولاد، فالرجل مكلَّف بطلب الرزق والإنفاق على الأسرة وحمايتها مما قد يعرض لها، فتكون نفسه دون نفس زوجته وأولاده، فلا يصيبهم بأس وهو قادر على دفعه، والمرأة لها تدبير شؤون الأسرة الداخلية وتربية الأولاد والقيام بالتبعل لزوجها، وهي شريكة له في نجاح أسرته، يفرحها ما يفرحه ويكدِّر عليها ما يطرأ عليه من أمور الحياة.

الحقوق الأسرية

تتكون الأسرة في المجتمع المسلم من الوالدين، والزوجين، والأولاد. وقد جعل الإسلام لكل منهم حقوقا يجب على الآخرين القيام بها وإلا كانوا مؤآخذين على التقصير فيها، أضف إلى ذلك أنَّه بالقيام بها على وفق النظام الذي شرعه الله وأراده لها تسود روح الألفة والمحبة والتراحم بينهم، وفيما يلي بيان أبرز الحقوق الأسرية في الإسلام:

حقوق الوالدين

لقد بوَّأ الله تعالى الوالدين مكانة عظيمة، فأنزلها الذروة من الاحترام والطاعة، وقرن القيام بحقهما بالقيام بحقه سبحانه، فجعل البرَّ بهما أوسط أبواب الجنة، فمن قام به دخلها، ففي الحديث عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوْ احْفَظْهُ**)[1] .

وإنَّ حقوق الآباء والأمهات على الأولاد عظيمة، منها:

١) الإحسان إليهما:

لقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين فقال: ﴿ ۞ **وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا** ﴾ النساء: ٣٦، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معناها: يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنَّه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته... ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، فإنَّ الله سبحانه جعلهما سببا لخروجك من العدم إلى الوجود، وكثيرا ما يقرنُ الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، كقوله: ﴿ ۞ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا** ﴾ الإسراء: ٢٣[2].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم(١٩٠٠)، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم(٢/٢٩٧، ٢٩٨).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (**قَالَ: (الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا)، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ) قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**[1] .

ومن صور الإحسان إليهما:

- صلتهما بكل خير يستطيعه أولادهما، خاصة إذا كبرا واحتاجا للنفقة والرعاية والعناية.
- حجب كل ما يكدِّر عليهما من أخبارك وأحوالك، فلو اشتكى الولد مرضا فلا يبدي لهما حتى لا ينغِّص حياتهما ويشغلهما بالتفكير فيه والشفقة عليه.
- الصبر على ما يبدر منهما من أقوال وأفعال غير مناسبة، خاصة مع كبر السن وضعف القدرات.

٢) إحسان الخطاب معهما، والدعاء لهما:

إنَّ مما اختص الله تعالى به الوالدين أن أمر الولد بالدعاء لهما فقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣ - ٢٥.

فتضمنت هذه الآيات جملة من الآداب مع الوالدين: كالإحسان إليها، والتلطف بالقول حين التخاطب معهما، وعدم التأفف منهما، بل إبدال النهر والزجر بالقول الجميل الكريم المتضمن للتكريم والتوقير والاحترام، مع الدعاء لهما لسابقتهما بالإحسان حال الصغر، فهما وصية الله. قال النبي ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ**)[2] .

٣) توقير الوالدين واحترامهما:

ومن التوقير لهما عدم التقدم بين يديهما بالقول أو الفعل، ومن التوقير لهما استئذانهما ولو كان ذلك في عبادات النوافل، فقد ردَّ النبي ﷺ رجلا أراد الجهاد في سبيل الله إلى والديه حين سأله: (**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)** [3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٢٧)، ومسلم برقم(٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم(١٧١٨٧)، وهو حديث حسن.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٠٠٤)، ومسلم برقم(٢٥٤٩).

وجاءه معاوية بن جاهمة السلمي ﷺ فقال: رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: **(وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟)** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **(ارْجِعْ فَبَرَّهَا)** ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: **(وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟)** قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **(فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا)** ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: **(وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟)** قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **(وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ)**[1] .

٤) إجابة ندائهما وقضاء حوائجهما:

أوجب الله تعالى طاعة الوالدين، بل قدَّم إجابة ندائهما على نوافل الطاعات، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **(كَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ _أي الزانيات المجاهرات بذلك_، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا)**[2] .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال العلماء: هذا دليل على أنَّه كان الصواب في حقه اجابتها؛ لانَّه كان في صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته"[3] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم(٢٧٨١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم برقم(٢٥٥٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٠٥/١٦).

الحقوق الزوجية

إنَّ من فطرة الله التي فطر الناس عليها رجالا ونساء ميل كل جنس إلى الآخر، ولم يجعل الله تعالى سبيلا مباحا لاستمتاع بعضهما ببعض إلا بالنكاح أو ملك اليمين.

ولما شرع الله النكاح جعل لكل طرف من أطرف عقد النكاح حقوقا على صاحبة يلزمه الوفاء بها، وقد قسم العلماء هذه الحقوق إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حقوق الزوج:

لقد أوجب الله تعالى على المرأة حقوقا شرعية لزوجها وشريك حياتها، ومنها:

١) طاعته في المعروف:

والمعروف: المتعارف عليه مما لا يخالف الشرع، فإن أمرها بمعصية لله وجبت معصيته، قال تعالى موجبا هذه الطاعة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ النساء: ٣٤.

وطاعة المرأة لزوجها أمارة على صلاحها، إذ ليس عليها بعد حقِّ الله وحقِّ رسوله ﷺ أوجب من حقِّ الزوج، فقد قال النبي ﷺ: **(لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ[1] لَمْ تَمْنَعْهُ)**[2] .

ومما يُطاع فيه الزوج دعوته إياها للفراش، وقد سئل ابن تيمية رحمه الله سؤالا جاء فيه أن رجلا له زوجة، تصوم النهار وتقوم الليل، وكلما دعاها الرجل إلى فراشه تأبى عليه، وتقدم صلاة الليل وصيام النهار على طاعة الزوج: فهل يجوز ذلك؟

فأجاب بقوله: لا يحل لها ذلك باتفاق المسلمين، بل يجب عليها أن تطيعه إذا طلبها إلى الفراش، وذلك فرض واجب عليها، وأمَّا قيام الليل وصيام النهار فتطوع، فكيف تقدم مؤمنة للنافلة على الفريضة؟! حتى قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: **(لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ)**[3] . فإذا كان النبي ﷺ قد حرَّم

---

(١) القتب هو: الرحل الصغير على قدر سنام البعير وجمعه أقتاب. ينظر: المعجم الوسيط(٢/٧١٤).

(٢) أخرجه ابن ماجة برقم(١٨٥٣)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥١٩٥)، ومسلم(١٠٢٦).

على المرأة أن تصوم تطوعا إذا كان زوجها شاهدا إلا بإذنه حتى لا تمنع بالصوم بعض ما يجب له عليها، فكيف يكون حالها إذ طلبها فامتنعت؟!

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: (**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**)[1]. فمتى امتنعت عن إجابته إلى الفراش كانت عاصية ناشزا، وكان ذلك مبيحا لضربها بعد الوعظ والهجر كما قال تعالى: ﴿**وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا**﴾ النساء: ٣٤[2].

٢) الاعتراف بفضله عليها:

إنَّ من حقوق الزوج على زوجته أن لا تنكر معروفه عليها من النفقة والسكنى والحماية وإحسان العشرة وإلا استحقت العذاب في الآخرة، ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: (**أُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (بِكُفْرِهِنَّ) قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: (يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**)[3].

٣) المحافظة على عرضه وولده وماله:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ- قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ – وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)[4]. وفي حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ رهَّب من خيانة المرأة لزوجها فقال: (**ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ**[5] **فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلْ**)[6].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٢٣٧)، ومسلم(١٤٣٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢/٢٧٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم(١٠٥٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٨٩٣)، ومسلم(١٨٢٩).

(٥) العبد الآبق هو: الهارب من سيده.

(٦) أخرجه أحمد في المسند برقم(٢٣٩٤٣)، وهو صحيح.

٤) إدخال السرور عليه والتخفيف من آلامه:

قد يطرأ على الزوج خارج بيته مواقف تكدِّر صفوه وتسلب الفرح من قلبه فيحتاج عند العودة إلى بيته لمن يستقبله ويخفف عنه ما يجده، وهذا هو المؤمَّل في زوجه.

ولعل خير مثال للمرأة المؤمنة ما فعلته أم المؤمنين خديجة ﵂ مع النبي ﷺ بعد نزول الوحي عليه أول مرة إذ رجع رسول الله ﷺ ترجف بوادره[١] حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. قال لخديجة: أي خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي. فأخبرها الخبر. قالت خديجة: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنَّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[٢] .

ولقد كانت أم سليم الأنصارية ﵂ من أكثر النساء ملاطفة لزوجها في إدخال السرور على نفسه ولو كان ذلك بتحملها المشقة دونه، وفي الحديث التالي موقفان يؤكدان ذلك، فعن أنس ﵁ قال: مات ابنٌ لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء، فقرَّبت إليه عشاء فأكل وشرب.

قال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت أنَّه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أنَّ قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب وقال: تركتني حتى تلطَّخت ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان. فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما في غابر ليلتكما. قال: فحملت، قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقا، فدنوا من المدينة فضربها المخاض؛ فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ، قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب إنه ليعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى. فقالت أم سليم لما سمعت ذلك: يا أبا طلحة: ما أجد الذي كنت أجد، انطلق. فانطلقنا، قال أنس: وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاما، فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فصادفته ومعه ميسم[٣]، فلما رآني قال: لعل أمَّ سليم ولدت؟ قلت: نعم. فوضع الميسم، وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله ﷺ

---

(١) البوادر: جمع بادِرَة، وهي لَحمة بين المَنْكِب والعُنق. ينظر: النهاية في غريب الحديث(ص٢٦٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٤٩٥٣)، ومسلم(١٦٠).

(٣) الميسم: أداة يكوى بها الحيوان لتمييزه.

بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في فيِّ الصبي، فجعل الصبي يتلمظها، قال: فمسح وجهه وسماه عبدالله[1].

القسم الثاني: حقوق الزوجة:

كما أنَّ الله تعالى جعل للزوج حقوقا على زوجته فكذلك جعل لها حقوقا عليه يجب الوفاء بها، وهي على قسمين: حقوق مالية، وحقوق معنوية، وهي على النحو الآتي:

الأول: الحقوق المالية:

أوجب الله تعالى على الزوج لزوجته ثلاثة حقوق مالية يلزمه أداؤها، وهي:

١) **المهر**: وهو منحة مالية تدفع للمرأة عند نكاحها، قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ النساء: ٤، والمشروع فيه التيسير اقتداء بالنبي ﷺ لما أخذ الصداق للمرأة التي زوَّجها، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني وهبت من نفسي، فقامت طويلا، فقال رجل: زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة. قال: هل عندك من شيء تصدقها؟ قال: ما عندي إلا إزاري. فقال: إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، فالتمس شيئا، فقال: ما أجد شيئا. فقال: التمس ولو خاتما من حديد، فلم يجد، فقال: أمعك من القرآن شيء؟ قال: نعم، سورة كذا، وسورة كذا، لسور سماها. فقال: قد زوجناكها بما معك من القرآن)[2].

والمهر حق للمرأة لا يجوز التصرف فيه إلا بإذنها ورضاها كسائر الحقوق المالية.

٢) **الإنفاق عليها**: وتشمل النفقة على الزوجة: الطعام والشراب واللباس وكل ما يعرض لها من حاجة، كأجرة التداوي، ونفقة الحج ونحوها. قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ البقرة: ٢٣٣. وقد انعقد الإجماع على أنَّ النفقة لا تسقط عن الزوج إلا في حال نشوز المرأة وامتناعها عن طاعته.

وسأل رجل النبي ﷺ: ما حقُّ المرأة على الزوج؟ قال: (**أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحْ، وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**)[3].

٣) **السكنى**: إنَّه يجب على الزوج تأمين مسكن مناسب لزوجته سواء ببناء أو كراء، قال تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ الطلاق: ٦ .

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٢١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٥١٣٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم(١٨٥٠)، وصححه الألباني.

تنبيه:

مما ينبغي التنبيه عليه بشأن الحقوق المالية للمرأة على زوجها أن الشرع قيَّدها بحسب عسر الزوج ويسره، فإن كان موسرا أنفق بحسب حاله، وإن كان معسرا أنفق على قدره، قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ الطلاق: ٧.

الثاني: الحقوق المعنوية:

١) المعاشرة بالمعروف:

المعاشرة: مفاعلة من الخلطة، فكل واحد من الزوجين يخالط صاحبه فيلزمه إحسان المخالطة معه. قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ النساء: ١٩

ومن المعاشرة الحسنة للزوجة مايلي:

- التزين لها كما يحب أن تتزين له: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنِّي لأُحبُّ أَن أَتزين للمرأَة كما أُحبُّ أَن تتزيَّن لي.
- التلطف في العبارة، والأدب في المخاطبة، وإظهار الود والمحبة.
- إكرام أهلها، وإعانتها على صلة رحمها منهم.
- احتمالها حال غضبها؛ لأنه يطرأ عليها من التغيرات النفسية ما لا يطرأ على الرجل، خاصة حال الحمل أو الحيض.
- العدل معها حال تعدد الزوجات.

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية السابقة: "﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾، وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال. ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾، أي: ينبغي لكم -أيها الأزواج- أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإنَّ في ذلك خيرًا كثيرًا، من ذلك امتثال أمر الله، وقبولُ وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة. ومنها: أنَّ إجباره نفسَه -مع عدم محبته لها- فيه مجاهدة النفس والتخلق بالأخلاق الجميلة، وربما أنَّ الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك. وربما رزق منها ولدا صالحا نفع والديه في الدنيا

والآخرة. وهذا كلُّه مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور، فإن كان لا بد من الفراق وليس للإمساك محل فليس الإمساك بلازم"[1].

٢) الوفاء بالشروط في النكاح:

الشروط في النكاح هي ما يطلبه أحد الزوجين من الآخر مما له فيه مصلحة، كاشتراط السكن على هيئة معينة أو في بلد معين ونحوها مما لا يخالف الشرع، فهذه الشروط معتبرة شرعا ويجب الوفاء بها إذا التزمها؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال: (**أَحَقُّ مَا أَوْفَيْتُمْ مِنَ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الفُرُوجَ**)[2]. أي: الشروط في النكاح.

٣) حثها على الخير والصلاح:

الزوج مطالب ببذل أقصى جهده في هداية أهله لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، وأولى من يذكر من الأهل الزوجة؛ لأنَّها اللبنة الأولى في بناء الأسرة، ومن بعدها يأتي الأولاد، قال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦**﴾ التحريم: ٦. قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿**قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ**﴾، يقول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله. وقوله: ﴿**وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا**﴾ يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار"[3].

٤) حفظ سرَّها:

إنَّ العشرة الزوجية تتيح لكلٍ من الزوجين الاطلاع على سرِّ صاحبه وما لا يطلع عليه أحد من الصفات الداخلية والعيوب ونحو ذلك، فيحرم نشر ما يطَّلع عليه من ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرَّها**)[4].

فلا يجوز للرجل مهما كانت الأحوال أن يبدي للناس ما رآه من زوجته، حتى إبَّان طلاقها وفراقها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٥١٥١).

(٣) جامع البيان(٢٣/٤٩١).

(٤) أخرجه مسلم رقم(١٤٣٧).

٥) مراعاة مشاعرها:

المرأة ذات مشاعر تحتاج لرعايتها، حتى لو استدعى الأمر إلى تعديل خطئها فيجب أن لا يُغفل جانب المشاعر، فلا يضرب وجهها لأنَّه محل التكريم من بني آدم، ولا تُسبُّ سبًّا لاذعًا تُنسى معه آدميتها، وإذا لزم الأمر للهجر ومفارقة الفراش إظهارا للغضب ورجاء تعديل الخطأ فلا يفارقها فيخرج ليبيت خارج البيت، ولعل الهدف من ذلك أن تكون الفرصة سانحة لها إن أرادت الاعتذار.

سأل رجل النبي ﷺ ما حقُّ المرأة على الرجل؟ فأجاب بجملة حقوق ذكر منها: **(وَلَا يَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحْ، وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ)**[١]

القسم الثالث: الحقوق المشتركة بين الزوجين:

١) الاستمتاع الحلال:

إن الاستمتاع بين الزوجين أباحه الله تعالى، وجعل الاعفاف مقصدا من مقاصد النكاح، وهو السبيل الوحيد لإفراغ الشهوة وإشباع ميل الرجال للنساء والنساء للرجال[٢].

وقد أباح الله تعالى لكل منهما الاستمتاع بالآخر على أي وجه أراد إلا المسلك المحرم والزمن الحرام: الدبر، والحيضة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: **(وما أهلكك؟)** قال: حوَّلت رحلي الليلة[٣]. قال: فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئا. قال: فأُوحي إلى رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣، فقال: **(أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ وَاتَّقِ الدُّبُرَ وَالْحَيْضَةَ)**[٤].

وخلاصة القول أنَّه يحرم على الزوج أن يأتي من امرأته خمسة أمور: إتيانُها في الدُّبُرِ، وإتيانُها في الحيضِ والنِّفاسِ، وعزلُهُ[٥] عنها بلا إذنها؛ لأنَّ فيه إضرار بها، وإتيانُها وهي صائمةٌ صيام فرضٍ، وإتيانُها وهي مُحْرِمَةٌ بحج أو عمرة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هناك طريق شرعي آخر، وهو ملك اليمين؛ ولكنه خير موجود في واقع المسلمين اليوم.

(٣) يعني أنه أتى امرأته في قبلها من دبرها فتخوَّف أن يكون قد قارف محرما؛ لأن اليهود كانت تقول: من أتى امرأته في قبلها من دبرها كان الولد أحول. لذا كان سؤاله للنبي ﷺ خشية أن يصاب بما قالته يهود.

(٤) أخرجه الترمذي برقم(٢٩٨٠)، وحسنه الألباني.

(٥) العزل: إنزال الرجل ماءه خارج الرحم حتى لا يحصل الحمل.

٢) إنجاب الأولاد:

إنَّ من مقاصد النكاح في الإسلام إنجاب الأولاد، وهو بهذا يشبع غريزة فطرية، إذ كل إنسان يتمنى أن يرزق بأولاد يتزين بهم في الحياة الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الكهف: ٤٦ .

وقد جعل الإسلام الزواج من المرأة القادرة على الإنجاب مطلبا شرعيا، فعن معقل بن يسار ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: **(تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بكم الْأُمَم)**[١] .

فإنجاب الأولاد حقٌّ مشترك لا يجوز لأحد الزوجين تفويته على الآخر إلا برضاه، شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى تحديد النسل، إذ يكون حينئذ محرما؛ لما فيه من مخالفة مقصود الشارع من النكاح وهو تكاثر الأمة الوارد في الحديث السابق.

حقوق الأولاد

إنَّ للأولاد حقوقا على والديهم من أبرزها:

١) حسن اختيار كلٍ من الوالدين لصاحبه:

إنَّ من شمول الإسلام أن جعل للرجل صفات محمودة يطلبها في المرأة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ)**[٢] ، فأخبر ﷺ أنَّ الناس في العادة يطلبون في زوجاتهم هذه الأربع، فحثَّ على ذات الدين فهي أفضلهن. وقال ﷺ: **(تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ)**[٣] .

وحثَّ الإسلام على اختيار الزوج ذي الدين والخلق، فقال ﷺ: **(إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)**[٤] .

٢) إحسان أسمائهم:

إنَّ حقيقة الاسم للمولود: التعريف به، وعنونته بما يميزه على وجه يليق بكرامته آدمياً مسلماً.

وقد جعل العلماء الأسماء على مراتب:

---

(١) أخرجه أبو داود برقم(٢٠٥٠)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٠٩٠)، ومسلم رقم(١٤٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي برقم(١٠٨٤).

الأولى: ما ورد في الشرع الثناء عليه، فعن ابن عمر ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ ﷻ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**)[١] .

الثاني: الأسماء المعبدة لله تعالى، كعبد العزيز وعبد الحميد وعبد الرحيم وعبد الكريم ونحوها.

الثالثة: التسمية بالأسماء التي اختارها الله تعالى لأفضل خلقه، كإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف ويونس، إلخ.

الرابعة: ماكان وصفا صادقا للإنسان، وهو ماتحقق فيه شرطان: أن يكون عربياً، فيخرج به كل اسم أعجمي، ومولَّد ودخيل على لسان العرب. والثاني: أن يكون حسن المبنى والمعنى لغة وشرعاً، ويخرج بهذا كل اسم محرم أو مكروه، إمَّا في لفظه أو معناه أو فيهما كليهما، وإن كان جارياً في نظام العربية، كالتسمي بما معناه التزكية، أو المذمة، أو السب، بل يسمى بما كان صدقاً وحقاً.

وقد ذكر العلماء آدابا تنبغي مراعاتها عند تسمية الأولاد منها:

أ) الحرص على اختيار الاسم الأحب لله تعالى، ثم الأحب للوالدين.

ب) مراعاة قلَّة حروف الاسم ما أمكن.

ج) مراعاة خفة النطق به على الألسن.

د) مراعاة التسمية بما يسرع تمكنه من سمع السامع.

هـ) مراعاة الملائمة، فلا يكون الاسم خارجاً عن أسماء أهل طبقته وملته وأهل مرتبته[٢].

وختاما: "إنَّ حسن الاختيار يدل على أكثر من معنى، فهو يدل على مدى ارتباط الأب المسلم بهدي النبي ﷺ، ومدى سلامة تفكيره من أي مؤثر يصرفه عن طريق الرشد والاستقامة والإحسان إلى المولود بالاسم الحسن.

وبالجملة، فهو الرمز الذي يعبر عن هوية من اختار الاسم والمعيار الدقيق لثقافته، ومن الدارج في كلام الناس: (مِن اسمك أَعرِفُ أباك).

والاسم يربط المولود بهدي الشريعة وآدابها، ويكون الوليد مباركاً فيذكِّر اسمُه بالمسمى عليه من نبي أو عبد صالح؛ ليحصل على فضل الدعاء والاقتداء بهدي السلف الصالح، فتحفظ أسماؤهم، ويذكر بأوصافهم وأحوالهم، وتستمر سلسلة الإصلاح في عقب الأمة ونسلها"[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم(٤٩٤٩)، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: تسمية المولود (ص٣٢- ٤٣) بتصرف.

(٣) ينظر: المصدر نفسه (ص٢٤، ٢٥).

٣) حق النسب لوالده:

إنما يعرف الناس بأنسابهم، واللقطاء هم الذين لا يُعرف لهم آباء ولا أنساب، فإلحاق الولد بأبيه حق له، ويراعى عند الانتساب الفصل بكلمة (ابن) بين اسم الابن وأبيه، وبكلمة (ابنة) بين البنت وأبيها؛ لأنَّ هذا الوضع هو الذي لا تقبل العربية غيره.

وأمَّا ذكر اسم الابن وأبيه بلا فصل بينهما فمما جرى إلى المسلمين من غيرهم، قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: "هنا أذكر دقيقة تاريخية مهمة وهي: أنَّ التزام لفظة (ابن) بين اسم الابن وأبيه كانت لا يُعرف سواها على اختلاف الأمم، ثم لظاهرة تبني غير الرشدة في أوربا صار المتبني يفرِّق بين ابنه لصلبه فيقول (فلان ابن فلان)، وبين ابنه لغير صلبه فيقول: (فلان فلان)، بإسقاط لفظة (ابن)، ثم أسقطت في الجميع، ثم سرى هذا الإسقاط إلى المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري فصاروا يقولون مثلاً: محمد عبدالله! وهذا أسلوب مولَّد، دخيل، لا تعرفه العرب، ولا يقره لسانها"[1].

٤) تربيتهم على الصلاح والتقوى لله تعالى:

إنَّ هدف التربية الإسلامية أن تنشئ جيلا يعبد الله تعالى ويعمر الأرض على وفق شرعه. فعبادة الله تعالى هي الغاية من خلق الإنسان أولا، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦، ومن أوسع جوانب العبادة عمارة الأرض على وفق شرع الله، فهو الإصلاح الحقيقي، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود: ٦١.

وهنا أبرز التوجيهات في تربية الأولاد وإصلاحهم:

- الدعاء لهم بالصلاح اقتداء بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٩ - ٤٠، فبدأ بحمد الله على أن رزقه الذرية، ثم دعا بصلاحه وصلاحهم وذلك بإقامة الصلاة، والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.
- الاهتمام بإبراز القدوة الصحيحة لهم منهجا وسلوكا.
- تربيته على القيم والخلق الحسن.
- غرس توحيد الله وتعظيمه ومراقبته في قلوبهم.
- تنقية البيت من كل وسيلة تضر بتربيتهم، كالقنوات المخالفة والبرامج الهابطة.
- توعيتهم على المخاطر التربوية المحدقة بهم، وكشفها لهم قبل وقوعها.

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص١٤).

- تعويدهم الخير شيئا فشيئا حتى يألفوه فإنَّ الخير عادة.
- ربط الدنيا بالآخرة، وبيان أنهما غير متعارضتين ولا مختلفتين، إنما الدنيا معبر والآخرة مقر، ومن زرع الخير والصلاح هنا حصد التوفيق والنجاة هناك.

المشكلات الأسرية وكيفية التعامل معها

أبرز أسباب المشكلات الأسرية:

١) نفرة الزوجين أو أحدهما من أقارب الآخر أو بعضهم.

٢) عدم تقدير الزوجين أو أحدهما للحياة الزوجية، مما يؤدي إلى التفريط فيما يجب عليه لصاحبه، كالتقصير في النفقة أو القوامة ورعاية المصالح، أو تقصير الزوجة في تدبير أمور المسكن والمطعم والملبس...إلخ

٣) عدم إدراك الزوجين للطريقة الصحيحة لحل المشكلات.

٤) الاستعجال في إنهاء النكاح لأدنى سبب.

٥) تدخل الأقارب في تسيير الحياة الزوجية بين الزوجين بالتوجيه لأحدهما باتخاذ قرار معين أو الاستئثار بالرأي.

٦) تدخل الأقارب فيما يقع بين الزوجين من خلافات، وتوليهم المنافحة عنهما أو عن أحدهما، إذ يزيدون الأمر تعقيدا لا يصلح معه تقارب وجهات النظر.

٧) اضطراب الحالة الصحية والنفسية عند أحد الزوجين.

مراحل الحياة الأسرية:

إنَّ الأسرة تمر بخمسة مراحل أثناء مسيرتها الحياتية وهي على النحو الآتي:

الأولى: مرحلة التكوين: وهي المرحلة الأولى في بناء الأسرة، وتكون في العادة مثالية بين الزوجين في الخطاب، والاحترام المتبادل، والحرص على إرضاء كل طرف صاحبه، وغالبا لا تظهر فيها الطباع الحقيقية؛ وإنما يكون سقف المجاملات فيها عاليا.

الثانية: مرحلة التنازع: وتبدأ هذه المرحلة مبكرة في تأريخ الأسرة، وفيها تظهر الطباع والأخلاق الحقيقية للزوجين، إذ لا يستطيع أحد أن يعيش كل وقته مجاملا، وهنا قد تتصادم بعض الطباع والأخلاق فيقع التنازع والاختلاف بين الزوجين، وربما يحتد أحدهما على الآخر أو يقسو فتقع الخصومة.

الثالثة: مرحلة الاتفاق: وتأتي هذه المرحلة عقب التنازع ومحاولة كل طرف تكييف شخصية الآخر ليتم الاتفاق؛ إذ يلتقي الطرفان في موضع متوسط، يقبل من صاحبه بعض أخلاقه ويعذره في بعض ويتجاهل البعض الآخر، وبغير هذا التفاهم لا تستقيم الحياة الزوجية. فقد قال الله تعالى في بيان بعض الآداب الزوجية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾ النساء: ١٩

الرابعة: مرحلة الانجاز: وهي ثمرة الاتفاق ليبدأ الإنجاز المشترك ببناء علاقات اجتماعية متميزة، وإنجاب الأولاد، واقتسام المهام الحياتية، وتربية الأولاد وتعليمهم ومتابعتهم، ومن ثمَّ تزويجهم وترقب أولادهم، لتبدأ الأسرة تتناقص بالزواج والانتقال لأجل الأعمال والوظائف والمصالح الدنيوية.

الخامسة: إعادة التكوين: إذا خلا المنزل من الأولاد عاد الزوجان إن طال بهما العمر إلى حال يشبه حالهما عند بداية إنشاء الأسرة، فهنا تبدأ إعادة التكوين للتأقلم مع الحياة الجديدة، إذ كان الأبناء والمشاريع المشتركة تملأ حياتهما حتى لا يجدان وقتا يتفرغان فيه لبعضهما، أمَّا الآن فالأولاد قد استقلوا والمشاغل انقضت، ولم يبق إلا أن يعيدا صياغة حياتهما على الحالة الجديدة.

فإذا تأملنا المراحل الخمس السابقة نجد أن أخطر المراحل هي المرحلة الثانية، إذ كثيرا مايقع الطلاق فيها، لذا لابد من الروية وعدم الاستعجال في اتخاذ أي قرار ينهي العلاقة الزوجية لمجرد وقوع الاختلاف في الآراء؛ إذ هي مدة زمنية للتفاهم اللاشعوري ليصلا إلى الاتفاق.

وعلى الأقارب ألا يتدخلوا في النزاعات واختلاف وجهات النظر التي تقع بين الزوجين، بل عليهم رأب الصدع وتقريب الآراء، وزيادة وعي الزوجين بأساليب حلِّ المشكلات وعلاجها.

مراحل المشكلات الأسرية:

إنَّ المشكلات الأسرية تمر بست مراحل هي: الكمون، والاستثارة، والاصطدام، وانتشار النزاع، والبحث عن الحلفاء والمؤيدين، وانهاء المشكلة بإنهاء العلاقة الزوجية.

وكل مشكلة تكون كامنة اول أحوالها، فإن تُركت على حالها سلمت منها الأسرة، فإن وجد من يثيرها ويبحث عنها ويناقش فيها تكبر، ثم يزداد الخلاف وتعظم المشكلة أكبر، فيبحث كل طرف على من يؤيده من الأهل والأقارب والزملاء، لتزداد المشكلة تفاقما فلا يوجد لها حلٌّ إلا بإنهاء العلاقة وحصول الطلاق.

فيجب على الزوجين أن يعالجا المشكلة بالنظر لأسبابها فعلاج السبب يزيلها، والحذر من علاج الأعراض والانشغال بها؛ لأنَّ هذا لا يداويها في الحقيقة؛ بل يخدِّرها ويُسكِّن آلامها لتعود من جديد أقوى وأعظم خطرا.

قواعد في حلِّ المشكلات الأسرية:

١) بادر إلى حلَّ المشكلة وهي صغيرة، ولا تتركها حتى تستفحل فيصعب علاجها.

٢) كلما كان نطاق المشكلة محصورا بين الزوجين كان حلُّها أسهل، فإن تدخل فيها غيرهما ازدادت تعقيدا.

٣) اختيار الوقت والحال المناسبين للنقاش في المشكلة كفيل بتفهم كل طرف لوجهة نظر صاحبه.

٤) تحديد نقاط الاختلاف يؤدي إلى التركيز.

٥) البحث عن سبب المشكلة ليوجه النقاش حوله.

٦) الحوار الهادي واختيار الألفاظ المهذبة يساعدان في حلِّ المشكلات.

٧) التماس العذر للطرف الآخر.

٨) اتخاذ القرار وتنفيذه مباشرة يغلق الطريق أمام جميع الحلول.

٩) التدرج في الحلِّ وعدم الاستعجال.

١٠) ينبغي أنَّ يكون الطلاق آخر الحلول.

أحكام الطلاق في الإسلام وما يترتب عليه.

الطلاق في اللغة: التخلية. وفي الاصطلاح: حلُّ قيد النكاح[١].

وهو مشروع لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ الطلاق: ١، ولقول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب لما سأله عن طلاق ابنه عبدالله لامرأته وهي حائض: **(مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ العِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ)**[٢].

وإذا تأملنا حال الأسرة التي ساءت العشرة فيها بين الزوجين وجدنا أنَّه لو لم يشرع الله الطلاق لكان لزاما على المرأة العيش مع من لا تريد، وكان واجبا على الزوج الإنفاق على من لا يريدها ولا يأنس بالعيش معها، فكانت مشروعية الطلاق سرا من أسرار كمال الشريعة ورعايتها للمصالح ودرء المفاسد إذ جعلت لهما مخرجا تنتهي به العلاقة بينهما؛ ليرزق الله كلا منهما من حيث يشاء.

وقد شرع الله تعالى للطلاق أحكاما وآدابا تجب مراعاتها، منها:

- وجوب إيقاع الطلاق في حالٍ تكون المرأة فيه طاهرا من الحيض ولم يحصل بينهما جماع، فإن كانت حائضا أو في طهر جامعها زوجها فيه وجب تأخير إيقاع الطلاق إلى أن تحيض وتطهر.
- أن يُطلِّق الزوج زوجته طلقة أو طلقتين؛ ليمكنه المراجعة إن أراد، أمَّا إيقاع الطلاق الثلاث دون فصل بمراجعة فمحرَّم مع أنَّه يقع، قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ البقرة: ٢٢٩.
- يجب على المرأة إذا طلقها زوجها طلقة أو طلقتين أن تبقى في بيتها ولا تخرج منه، ويحرم عليه إخراجها منه حتى تنتهي عدتها، لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ

---

(١) ينظر: المغني (٨/٢٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٥٢٥١).

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ الطلاق: ١.

- المرأة في زمن العدة زوجة لها ماللزوجات من السكنى والنفقة، وعليها التجمل والتزين والقيام بحق الزوج إلى انتهاء عدتها.

فإذا تأملنا هذه الأحكام والآداب وجدنا أن الشرع لا يُرغِّب في الطلاق ولا يحبذه، ولهذا جعل له ضوابط من شأنها منح وقت أطول قبل إيقاع الطلاق لعل سَوْرَة الغضب تنطفي فيفيء كلٌ إلى رشده فيبقى شمل الأسرة مجتمعا، وإن وقع الطلاق فالمشروع أن يطلق طلقة أو طلقتين وأن يبقيا قريبا من بعضهما، وهذا فيه إمكان المراجعة وإصلاح الأمور والعودة بمركب الزوجية إلى شاطئ الأمان.

الوحدة الثانية

المرأة في الإسلام

خلق الله تعالى آدم عليه السلام، ثم اقتضت حكمته أن يخلق له من يؤنس وحدته فكان خلق حواء عليها السلام، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ النساء: ١، ثم جعل السلالة البشرية منهما بعد إنزالهما إلى الأرض.

ولم تزل المرأة على مرِّ التاريخ مع الرجل جنبا إلى جنب، تكون مكرمة حين يحكم الناس بالشرائع المنزَّلة، وتهان حين بعدهم عنها، حتى وصلت إلى حال عسيرة قبل بعثة النبي الخاتم ﷺ.

حال المرأة قبل الإسلام:

لم تَعدُ المرأة في جميع الديانات الوثنية ومجتمعاتها كونها مخلوقة للشهوة والمتعة فقط، ففي الصين كانوا يسمونها بالمياه المؤلمة، وهي في نظرهم شرٌّ يستبقيه الرجل بمحض إرادته ويتخلص منه متى أراد بالطريقة التي يريدها، بالبيع أو غيره، وقد يمنعونها من الزواج بعد موت زوجها لتبقى حيوانا يخدم في البيوت كالحيوانات تماما(١).

وعند الهنود القدامى يعدونها مخلوقا نجسا متجردا من الشرف سيء السلوك، فهي دنسة كالباطل نفسه، بل يُحكم عليها بالموت حرقا مع زوجها المتوفى(٢)، ولم تبطل هذه العادة إلا قبيل عقود يسيرة من الزمان، حين فرضت الحكومة الهندية إلغاء مراسيم حرق الجثث بعد موتها.

وجعلت الديانة المزدكية الفارسية المرأة شركة بين الرجال، قال الشهرستاني: "كان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال أحلَّ النساء وأباح الأموال وجعل الناس شِرَكَة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ"(٣) .

وأمَّا اليونانيون فقد بيَّن رائد المدرسة العقلية – أفلاطون- موقفهم من المرأة، حيث كان يضعها في مرتبة الأطفال والخدم. ويرى غيرُه أنَّهن لسن أهلا للعمل الصالح وإنما هنَّ آلات للشر وبث السوء في المجتمع(٤) .

ويعتبر اليهود والنصارى المرأة لعنة، وأنَّها أغوت آدم وأوقعته في شراك المعصية، فجرَّدوها من كل حقوقها وجعلوها مُلكًا لوليها إن احتاج باعها، وإن زوَّجها أخذ مهرها عوضا عنها، بل حُرِمت حقَّها في الانتساب إلى أبيها وسُلب منها، فهي قبل الزواج تنسب لأبيها وبعد الزواج تُنسب لزوجها(١).

---

(١) ينظر: المرأة في التصور الإسلامي(ص١٥٦، ١٥٧).

(٢) ينظر: حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية(ص٢٤، ٢٥).

(٣) الملل والنحل (١ /٢٤٨).

(٤) ينظر: المرأة في القديم والحديث(ص١٧٠).

وأمَّا المرأة في الجاهلية العربية قبل الإسلام فقد كانت في منتهى الهوان والاحتقار الذي ذكره الله تعالى عمن يُبشَّر بولادة الأنثى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النحل: ٥٨ - ٥٩، فكانت توأد حية أحيانا، وتُستبقى مهانة ذليلة أحايين كثيرة.

ومما يُبين قدر المهانة التي عاشتها المرأة في الجاهلية ما ذكرته عائشة رضي الله عنها من أنواع النكاح الذي كان يمارس مع المرأة، قالت: (**إِنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ: كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلاَنٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ. وَنِكَاحٌ آخَرُ: يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ [ص:١٦] يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ القَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ، لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ**)[٢].

وإن حصل بين الزوجين خصومة وطلاق فإنَّه أحقُّ بمراجعتها ولو طلقها عشرين مرة، بل له أيضا أن يطلقها فإذا اقتربت عدتها على النهاية يراجعها، ثم يطلقها فإن أوشك انتهاء عدتها راجعها، وهكذا بقصد الإضرار بها، قالت عائشة رضي الله عنها: كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وإن طلقها مائة أو أكثر إذا ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك إليَّ. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك وكلما قاربت عدتك أن تنقضي ارتجعتك ثم أطلقك وأفعل ذلك، فشكت المرأة ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ البقرة: ٢٢٩[٣].

---

(١) ينظر: حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية(ص٣٠، ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٥١٢٧).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم(٣١٠٦).

وكانت المرأة إذا توفي عنها زوجها تدخل بيتا صغيرا ضيقا، وتلبس شرَّ ثيابها، ولا تمس طيبا ولا شيئا، ولا تقلِّم ظفرا حتى تمر بها سنة كاملة، ثم تؤتى بدابة – حمار أو شاة أو طير– فتمسح به جسمها أو تمسح بجسمها عليه فقلما تمسح بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطي بعرة بعير فترمي بها، ثم تراجع بعدُ ما شاءت من طيب أو غيره[١] .

ولم يكن للمرأة أي حق مالي أو معنوي، فلم تكن تعط حقَّها من الميراث حتى جاء الإسلام، قال عمر بن الخطاب ﷺ: (**كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئا، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقا**)[٢] . بل كانت أشبه ما تكون مملوكة يَتصرف فيها غيرها دون أن يكون لها رأي، قال ابن عباس ﷺ: (**كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزل قول الله تعالى:** ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩** ﴾ النساء: ١٩[٣]).

هذا بعض حالها في الأديان القديمة والجاهلية العربية، وقد تبين أنَّ المرأة لم تأخذ حقَّها أبدا، بل كانت مهانة، ولم تزل في الهوان حتى جاء الله بالإسلام، وهذا ما سنوضحه فيما يلي من الصفحات.

المرأة في الإسلام:

الإسلام دين الفطرة، وقد شرع الله فيه من الأحكام ما يتناسب مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، إذ كل مخلوق له طبيعة في خلقه، وله أيضا مهمة مكلَّف بها من ربه الذي خلقه، فلا يمكن أن يشرع الله للناس إلا ما فيه مصلحتهم في العاجل أو الآجل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ويمكننا أن نلخِّص نظرة الإسلام إلى المرأة في النقاط التالية:

– **أنَّ المرأة مخلوق ضعيف لا يُقارن بالرجل قوة وتحملا وصبرا**، لذا فهي في الإسلام لا تُكلَّف بما يعارض طبيعتها التي خُلِقت عليها، قال تعالى: ﴿ **أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨** ﴾ الزخرف: ١٨، قال ابن عاشور رحمه الله: (إنَّ البنت تُتخذ لها الحلية من أول عمرها وتُستصحب في سائر أطوارها، وحسبك أنها شُقَّت طرفا أذنيها لتُجعَل لها فيهما الأقراط بخلاف الصبي فلا يحلى بمثل ذلك وما يستدام له. والنشء في الحلية كناية عن الضعف عن مزاولة الصعاب)[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم(١٤٨٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٥٨٤٣).

(٣) المصدر نفسه برقم(٤٥٧٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٨١/٢٥).

لذا لم يكلِّفها الشرع بما يحتاج إلى قوة في البدن كالجهاد في سبيل الله، والحراسة، والسعي لطلب الرزق والإنفاق على غيرها، مما يتطلب أحيانا سفرا وغربة وابتعادا عن الأهل والأوطان والتعرض للمهالك في الصحاري أو البحار، وإنما أباح لها كل عمل يناسب طبيعتها دون مشقة ولا كلفة.

بل خفف الشرع عنها مراعاة لضعفها، حتى أمرها بترك الصلاة والصيام حال حيضها ونفاسها لما في ذلك من المشقة عليها، وجعل لها بدل الجهاد والقتال في سبيل الله: الحج والعمرة، فقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، على النساء جهاد؟ قال: (**نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ، لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ**)[1] .

- **أنَّ المرأة مفطورة على الرقة واللين والعاطفة الجياشة**، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ في مسير له فحدا الحادي فقال النبي ﷺ: (**ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ – وَيْحَكَ – بِالْقَوَارِيرِ**)[2] . قال الرامهرمزي رحمه الله: (كنَّى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية)[3] .

لذا أسند الإسلام مهمة تربية الأولاد والعناية بالزوج والقيام على شؤون البيت ورعاية الأسرة إلى المرأة، لأنَّها هي الأقدر على التماس حاجاتهم وتحمل كثرة طلباتهم، بالإضافة إلى غمرهم بمشاعر الحب والرعاية بلا تبرم ولا انزعاج، لما تملكه من عاطفة وشفقة تدفعها للقيام بتلك المهمة خير قيام.

ومنعها الإسلام عن كل عمل يحتاج إلى قوة شكيمة ونوع غلظة في القول أو الفعل، كالقضاء، والحكم وسياسة الناس؛ لأنَّها إمَّا أن تعمل فيها بطبعها الذي فطرت عليه–الرقة واللين والعاطفة– فتضيع مصالح الدين والدنيا، وتُسلب الحقوق، وتُعطل الحدود، ويطمع الناس بعضهم في بعض، وإمَّا أن تخرج عن طبعها فتجني النكد والقلق وضيق الصدر والانزعاج الدائم، فلا تذوق للحياة طعما ولا تجد للعيش لذة. فرحمها ربها حين أوكل إليها ما يتوافق مع طبيعتها التي خلقها عليه.

- **أنَّ المرأة محل الاحترام والتقدير عند المخاطبة حتى في حالات الغضب والخلاف**، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**)[4] . وعن حكيم بن معاوية عن

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم(٢٩٠١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم(٦٢١٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر(١٠/٥٤٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم(١٩٧٨).

أبيه أنَّ رجلا سأل النبي ﷺ ما حقُّ المرأة على الزوج؟ قال: (**أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحْ، وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**)[1] .

- **أن المرأة محل الرحمة والمعاشرة الحسنة:**

إنَّ المرأة لضعفها تستوجب رحمتها والوقوف بجانبها والعطف عليها وتحمل الأعباء دونها وحسن معاملتها امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾ النساء: ١٩ ، ولما سُئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: (**كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة**)[2] . وعند ابن حبان بسند صحيح: (**كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم**)[3] .

- **أنَّ النساء مثل الرجال في الأوامر والنواهي إلا ما خُص به أحدهما مراعاةً لطبيعته وقدرته،** قال النبي ﷺ: (**إِنَّما النِّساءُ شَقائِقُ الرِّجالِ**)[4] . قال بن الأثير رحمه الله في معنى شقائق الرجال: "أي: نظائرهم وأمثالهم كأنهن شققن منهم، ولأنَّ حواء خلقت من آدم عليه الصلاة والسلام، وشقيق الرجل أخوه لأبيه ولأمه"[5]. وقال المناوي رحمه الله: "النساء شقائق الرجال كما هو مطَّرد في جُلِّ الأحكام، حيث يدخلن مع الرجال تبعا إلا ما خصَّه الدليل"[6] .

- **أنَّ النساء فرع من الرجال وجزء منهم،** إذ خلق الله آدم بيده وخلق حواء من ضلعه، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً** ﴾ النساء: ١، وقال: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ الأعراف: ١٨٩، وقال: ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ الزمر: ٦.

والأصل كما هو معلوم يشتاق لفرعه، والفرع يحنُّ لأصله، فجنس الرجال يميل إلى النساء بمقتضى الفطرة والطبيعة، وهذا يفسر لنا ورود كثير من النصوص تحذِّر الرجال من فتنة النساء، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**)[7] . وقال ﷺ:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري برقم(٦٠٣٩).

(٣) أخرجه ابن حبان، حديث رقم(٥٦٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود برقم(٢٣٦)، وصححه الألباني.

(٥) النهاية في غريب الحديث (ص٤٨٨).

(٦) فيض القدير (٣/٣٣٣).

(٧) أخرجه مسلم برقم(٢٧٤٠).

(اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ)[١] .

فاقتراب الرجل من المرأة غير المحرم مُستغلٌّ من الشيطان للإيقاع بهما في الرذيلة والفاحشة، لذا حرَّم الإسلام الخلوة بالأجنبية، فقال ﷺ: **(لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)**[٢] . قال: **(لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا)**[٣] .

وحرَّم سفرها بلا محرم لأنَّ أمنها لا يكون إلا مع الرجل سواء كان أبا أو أخا أو زوجا، وحتى لا تطمع بها النفوس الضعيفة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: **(وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتِ امْرَأَتِي حَاجَّةً، قَالَ ﷺ: (اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ)**[٤] .

- **أنَّ المرأة محلُّ وصية الله ووصية رسوله ﷺ، سواء كانت أمًّا أو أختا أو بنتا،** قال ﷺ في حق الأمهات: **(إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ)**[٥] . ولما استأذنه رجل في الجهاد في سبيل الله سأله: سأله: **(أَحَيَّةٌ أُمُّكَ ؟)** قال: نعم. قال: **(وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ)**[٦] .

وقال ﷺ في حق الزوجات: **(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)**[٧]. فأبان أنَّ المرأة مخلوقة من الرجل كما مرَّ، وأنَّها لا تستقيم طباعها مع طباع الرجل ولا تتوافق تماما؛ تماما؛ بل لا يزال الاختلاف في بعض الطبائع قائما، فإن أراد الرجل تعديل طباعها مع مايوافق طباعه هدم بيته وشتت أسرته، وإن صبر تمت المتعة بينهما. كما شبَّه النبي ﷺ المرأة بالأسير في الحاجة إلى الرحمة وإزالة الهم والغم واستحقاق الإحسان فقال: **(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ)**[٨] .

---

(١) المصدر نفسه برقم(٢٧٤٢).

(٢) المصدر السابق برقم(٥٢٣٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم(٥٢٣٣)، وهو صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري برقم(٢٤٠٨).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٣٣١)،ومسلم برقم(١٤٦٧).

(٨) أخرجه ابن ماجه برقم(١٨٥١)، وحسنه الألباني.

وأمَّا البنات فقد جُعلن حجابا لوالدهن من النار متى أحسن تأديبهن وتربيتهن، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[1] .

– أنَّ المرأة كالرجل في الجزاء الأخروي وإن اختلفا في التكاليف الشرعية في الدنيا:

إنَّ الله تعالى تعبَّد الرجال والنساء في الدنيا بعبادات تناسب خلقة وقدرة وطبيعة كل جنس منهما، وجعل الجزاء في الآخرة متماثلا، فالمرأة تترك الصلوات حين حيضها ونفاسها ومع هذا لا ينقص أجرها عند الله، لقول النبي ﷺ: (**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**)[2]. والحيض والنفاس مرض يعتري المرأة.

ولمَّا استنفر النبي ﷺ الرجال للجهاد في سبيل الله لم يستنفر النساء فطلبن ذلك فجعل لهن سقاية الجيش والعناية بالجرحى، وهذا عمل مناسب لطبيعتهن، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: "لما رأى النساء إعراض رسول الله ﷺ عنهن في الاستنفار للجهاد رأين أنهن بحاجة إلى أن يذكرنه؛ فقلن له وفيهن أم سلمة أم المؤمنين: يارسول الله، ألا نغزو؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾**﴾ النساء: ٣٢، وذكر لهن رسول الله ﷺ أنَّ جهادهن أن يقمن على المرضى ويواسين الجرحى ويسقين الجيش وغير ذلك من شؤون الإعانة عدا القتال، وقد كانت عائشة وأم سليم تفرغان القرب في أفواه الجيش يوم أحد"[3].

وقد دلَّ النبي ﷺ النساء على جهاد يناسب حالهن حين سألته عائشة رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: (**لاَ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ**)[4] .

وقد قال الله تعالى –وهو أصدق القائلين– مقررا أنَّ ثواب الآخرة يناله كل من أطاعة فيما أمره به فامتثله وفيما نهاه عنه فانتهى وتركه: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ**﴾ آل عمران: ١٩٥، وقال: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾**﴾ النساء: ١٢٤.

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم(٣٦٦٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم(٢٩٩٦).

(٣) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام(ص٩٢).

(٤) أخرجه البخاري برقم(٢٧٨٤).

- **أنَّ المرأة لها ذمة معتبرة في التملك وتحمل الحقوق وسائر المعاملات،** فلها حق اكتساب المال بأي طريق مباحٍ، كالتجارة، وسائر الوظائف التي لا تحتاج إلى قوة في البدن أو النفس، كالتعليم والطب والصناعات الخفيفة التي تناسبها بالضوابط الشرعية المعلومة[1].

وجعل لها حق امتلاك المال وصرفه في وجوهه المعتبرة شرعا، ولها الصفة الكاملة المعتبرة في إبرام العقود ونقضها.

- **أنَّ المرأة في الإسلام محل العناية والمحافظة،** فإنَّ كلَّ من ملك الجواهر خبأها حتى لا تمتد لها أيدي الناس أو عيونهم بسوء، وهكذا شرع الله لها ما يحفظها من شرور الخلق، لتكون كالدرة المصونة، فشرع لها الحجاب عن كل رجل ليس محرما لها.

مشروعية الحجاب للمرأة المسلمة:

مرَّ أن المرأة مكلَّفة بأحكام الشرع عابدة لله تعالى، تشترك مع الرجل في كثير من الأحكام الشرعية، وتختصَّ بأخرى لا يشاركها فيها الرجل، ومن تلك الأحكام الخاصة بالنساء: الحجاب.

والحجاب ستر المرأة لجسدها وزينتها عن الرجال الأجانب عنها، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١.

صفة حجاب المرأة المسلمة:

إنَّ للحجاب الشرعي صفات وردت في النصوص الشرعية، وهي:

١) أن يكون ساترا لجميع البدن، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٩. وإنَّ محلَّ المعرفة من كل شخص وجهه، فالمرأة مأمورة بستر جميع بدنها، لا يظهر منها شيء لا الوجه ولا غيره.

---

(١) يشترط لعمل المرأة أن يكون العمل مباحا، خاليا من المخالفات الشرعية كالاختلاط بالرجال أو الخلوة بالأجانب عنها، أو السفر بلا محرم أو يكون له لباس خاص يخالف اللباس الشرعي، وأن لا يؤدي للتقصير فيما هو واجب عليها كالتقصير في حق الزوج أو الأولاد، وأن يأذن لها وليها بالعمل. ينظر: حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة(ص٨٧٩-٨٨١).

٢) أن لا يكون زينة في نفسه، لأنَّ إظهار الزينة محرم، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ النور:١٣

ففي هذه الآية وجوه من الاستدلال على وجوب الحجاب وصفته منها:

- أنَّ إظهار الزينة للأجانب محرم، والزينة كل ما تتزين به المرأة مما ليس من بدنها، كالألبسة ذات الألوان الزاهية، والحلي، وأدوات التجميل ونحوها، كلها يجب سترها عن أعين الرجال الأجانب.
- أنَّ تحريم إظهار الزينة يدل بدلالة الالتزام على تحريم كشف شيء من البدن من باب أولى، ففتنة الرجال بجسد المرأة أعظم من فتنتهم بزينها.

٣) أن لا يشفَّ عن الجسد أو يحجِّم البدن فيُميَّز لونها أو حجم جزء من بدنها: قال النبي ﷺ: (**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**)[١] . قال محمد فؤاد عبدالباقي رحمه الله: هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به ﷺ، فأمَّا أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرطة ونحوه. وأمَّا الكاسيات ففيه أوجه: أحدها: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها. والثاني: كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن والاعتناء بالطاعات. والثالث: تكشف شيئا من بدنها إظهارا لجمالها، فهن كاسيات عاريات. والرابع: يلبسن رقاقا تصف ما تحتها، كاسيات عاريات في المعنى.

وأما (مائلات مميلات) فقيل: زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، ومميلات: يعلمن غيرهن مثل فعلهن. وقيل: مائلات متبخترات في مشيتهن، مميلات أكتافهن وأعطافهن.

(رؤوسهن كأسنمة البخت) معناه: يعظمن رأسهن بالخُمُر والعمائم وغيرها مما يُلفُّ على الرؤوس حتى تشبه أسنمة الإبل. والمراد بالتشبيه بأسنمة البخت إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك وتُكثِّرها بما يضفرنه، حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام.[٢] .

٤) أن تجتنب الطيب عند الخروج من البيت، لما في ذلك من التأثير في الرجال واستمالتهم إليها فتكون سببا للفتنة بها، قال النبي ﷺ: (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ، ثُمَّ مَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَة**)[٣]. وقال ﷺ أيضا: (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ**)[١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٢١٢٨).

(٢) ينظر: التعليقات على صحيح مسلم(٤/٢١٩١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم(١٩٧٤٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده جيد.

وليس ذكر العشاء مخصصا للنهي وإنما خُصَّ العشاء بالذكر لأنَّه وقت ظلمة وخلو في الطرقات فكان الخوف عليها أشد.

فإذا كان التعطر للمسجد بهذه المثابة من التحريم، فلغير المساجد من باب أولى. قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإذا كان ذلك حراما على مريدة المسجد فماذا يكون الحكم على مريدة السوق والأزقة والشوارع؟! لا شك أنَّه أشد حرمة وأكبر إثما"[٢].

٥) **أن لا يكون في الحجاب تشبه بالرجال أو النساء الكافرات:** قال النبي ﷺ: (**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**)[٣] . فهذا عام في كل تشبه بمن حرَّم الشرع التشبه به.

وفي خصوص تشبه الرجال بالنساء وعكسه في اللباس سواء في اللون أو الهيئة روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ لعن الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل[٤] .

والتشبه بالكفار في لباسهم محرم على الرجال والنساء على حدٍّ سواء، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: (**إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا**)[٥] .

٦) **أن لا يكون الحجاب لباس شهرة،** ولباس الشهرة هو: ما يلبس من غريب الثياب في نوعه أو لونه أو طريقة لبسه ليشتهر به بين الناس، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ**)[٦].

هل تغطية الوجه من الحجاب أم لا؟

عند تأمل النصوص الواردة بشأن الحجاب نجد أنَّها توجب تغطية الوجه وأنَّه مما أمر الله به النساء وفرضه عليهن، ومن ذلك:

١) قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩** ﴾ الأحزاب: ٥٩. وروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: "أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة. وسأل محمد بن سيرين عبيدة السلماني عن هذه الآية فتقنع

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٤٤٤).

(٢) جلباب المرأة المسلمة(ص١٣٩).

(٣) أخرجه أبو داود برقم(٤٠٣١)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٤) المصدر نفسه برقم(٤٠٩٨)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه مسلم برقم(٢٠٧٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه برقم(٣٦٠٦)، وحسنه الألباني.

بردائه، فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب[1].

ومما يدل على صحة هذا التفسير قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فعلل ذلك الأمر لأجل عدم معرفتهن، ومعلوم أنَّ محلَّ المعرفة الوجه، فدلَّ ذلك على وجوب تغطيته.

٢) قول عائشة ﵂ وفعلها أيضا في حادثة الإفك حيث قالت: (**وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي ـ وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ ـ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي**)[2].

وفي هذا تصريح باختلاف الحال قبل فرض الحجاب وبعده، فقبله كان النساء يكشفن وجوههن أمَّا بعده فيغطينه.

وليس الحجاب خاصا بزوجات النبي ﷺ بدليل قول أم سلمة ﵂: (لما نزلت: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ**﴾ خرج نساء الأنصار كأنَّ على رءوسهن الغربان من الأكسية)[3].

٣) عن ابن عمر ﵄ أنَّ النبي ﷺ قال: (**لَا تَنْتَقِبُ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ، وَلَا تَلْبَسُ الْقُفَّازَيْنِ**)[4]. فهذا يدل بمفهوم المخالفة أنَّ غير المحرمة تنتقب وتلبس القفازين، وهذا يقتضي تغطية وجهها إذ لا يحصل النقاب إلا بتغطية الوجه.

٤) عن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا خَطَبَ أحَدُكُم المرأةَ، فإن استطاعَ أن يَنْظُرَ إلى ما يَدْعُوهُ إلى نِكاحها فَلْيفعَل**) فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت ما دعاني إلى نكاحها وتزوجتها[5]. وفي هذا دليل على أنَّ النساء كنَّ يخرجن مغطيات وجوههن وإلا لما احتاج جابر ﵁ أن أن يتخبأ لها ليراها.

هذه جملة من الأدلة الشرعية الموجبة لتغطية المرأة وجهها، وأنَّ ذلك مما أوجبه الله عليها وتعبدها به.

وبعد:

فإنَّ الحجاب ليس تقييدا لحرية المرأة المسلمة، بل إنَّه لا يجب عليها إلا في حالة وجود الرجال الأجانب حولها، وهذا لا يكون في كل وقت كما هو معلوم.

---

(١) ينظر: جامع البيان(٢٢/٣٢٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٦٦١) ومسلم برقم(٢٧٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤١٠١) وصححه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري برقم(١٨٣٨).

(٥) أخرجه أبو داود برقم(٢٠٨٢)، وحسنه الألباني.

وإنَّ ارتداء النساء المسلمات للحجاب وعدم مخالطتهن للرجال يحفظ المجتمع من مخاطر عظيمة ويجلب له منافع منها:

- نيل رضا الله تعالى الذي هو أعظم المنافع على الإطلاق.
- سلامة المرأة إلى حدٍّ كبير مما تعانيه المرأة المتبرجة من التحرش والاعتداء والاغتصاب أحيانا وتشويه السمعة.
- سلامة المرأة من العنف والطلاق والتفكك الأسري الناتج عن شكوك الرجال في وجود علاقات لنسائهم مع الأجانب.
- السلامة من الخيانات الزوجية المتوقعة وما يعقبها من أمراض جنسية وخلافات وطلاق ونحوها؛ نظرا لكون الرجال في المجتمع المسلم لا يتعرضون لفتنة تبرج النساء والاختلاط بهن في العمل وغيره من الأماكن العامة.

حال المرأة في الحضارة المعاصرة:

منذ الثورة الفرنسية والعالم الغربي يتجه بأفراده رجالا ونساء نحو حياة بهيمية ترتكز على الشهوة والعلاقات غير المنضبطة، والشذوذ بكل أنواعه، فالحياة الاجتماعية الغربية عارية من قيم الرحمة والإحسان والتعاون إلا ما كان مدفوع الثمن يتبع المصالح، فالعلاقة الحسنة تكون مع المصلحة، فإن عُدمت المصلحة أو انقضت أدار أحدهم وجهه للآخر.

والنساء ضمن ذاك المجتمع بكل ما فيه، وهي الجانب الأضعف، فأخرجت من بيتها وحُمِّلت مسؤوليات ينوء بها الرجال، فهي جندي الحرب وعامل المصنع ونادل المطاعم ودمية الدعايات والإعلانات ومحل المتعة والشهوة وممارسة الفواحش...وهي فوق هذا تحمل وتلد للزوج أو لغيره من الأخدان وتقوم بتربية المولود والإنفاق عليه إن كان من صديقها أو تتقاسم مع الأب نفقته ونفقة المسكن ومصروفات الأسرة، مما يجعلها ملزمة بالخروج من بيتها للعمل والاكتساب لتستطيع الوفاء بكل الالتزامات التي طرحها عليها الرجل تحت خُدعة تحريرها من سلطته، وهي في الحقيقة خرجت من سلطة الرجل المنضبطة إلى عبودية وسخرة تحت يد الأقوى من الرجال.

وسأذكر في النقاط التالية بعض الاحصاءات من المجتمع الغربي التي تكشف حال المرأة في الغرب المعاصر، مما يُغني عن كثير من الاستشهادات:

- ورد في تقرير صادر عن المراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض أنَّ متوسط عدد النساء اللاتي يُقيم معها الرجل الأمريكي علاقات جنسية هو سبع نساء، بل إنَّ ٢٩ % من الرجال قد أقاموا علاقات جنسية مع أكثر من خمس عشرة امرأة في حياتهم[١].
- أقيمت دراسة على عدد من دول العالم ومنها بريطانيا وأمريكا وإيطاليا وفرنسا عن مدى إقامة علاقات جنسية مع أكثر من شخص في وقت واحد فكانت النتيجة: في بريطانيا٤٢% منهم أقاموا علاقة مع أكثر من شخص في وقت واحد، وفي أمريكا ٥٠%، وفي إيطاليا٣٨%، وفي فرنسا٣٦%.[٢].

وهذه العلاقات الجنسية الهمجية تنتج حملا فيكون مصيره أحد أمرين: إما أن تتحمل الأم مسؤولية تربيته، أو يكون مصيره الإجهاض، ففي أمريكا وحدها توجد عشرة ملايين وأربعمئة ألف أسرة تعيلها الأم دون وجود أب، حسب دائرة الإحصاءات الأمريكية[٣]، وبلغت حالات الإجهاض أكثر من مليون حالة سنويا[٤]. وبلغ عدد الأجنة الذين قتلوا بالإجهاض في أمريكا خلال ثلاثين عاما اثنان وأربعون مليون جنين منذ عام ١٩٧٣م إلى ٢٠٠٢م.

- أمَّا حالات اغتصاب النساء ففي أمريكا فقط يتم اغتصاب(٦٨٣٠٠٠) امرأة سنويا، أي بمعدل (٧٨) امرأة في الساعة، مع أنه لا يتم التبليغ عن حالات الاغتصاب إلا بنسبة ١٦% فقط كما بينت ذلك وزارة العدل الامريكية[٥].
- ولم تقتصر معاناة المرأة الغربية على اتخاذها أداة لممارسة الرذيلة فقط؛ بل تبع ذلك الأمراض الجنسية المستعصية، ففي أمريكا أكثر من خمسة وستون مليون شخص مصابون بالأمراض الجنسية كالإيدز والزهري والسيلان..[٦]
- وأمَّا العنف ضد المرأة سواء من الأزواج أو الأصدقاء فأمر لا يصدق لولا الإحصاءات الرسمية: ففي أمريكا يقتل سنويا(١٣٢٠) امرأة، بمعدل أربع نساء يوميا، قرابة نصفهن يُقتلن من قِبل أزواجهن أو أصدقائهن[٧]. وحوالي ثلاثة ملايين امرأة سنويا في أمريكا يتعرضن لاعتداء جسدي من زوج أو صديق[١].

---

(١) ينظر: http://www.cdc.gov/nchs/data/ad/ad٣٨٤.pdf

(٢) ينظر: **بي بي سي (BBC)**: http://news.bbc.co.uk/٢/hi/uk_news/١٧٧٣٣٣.stm

(٣) ينظر: دائرة الاحصاءات الأمريكية:

http://www.census.gov/Press-zelease/www/releases/archives/families_households/٠٠٩٨٤٢.html

(٤) ينظر: المراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:

http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss٥٥١١a١.htm

(٥) ينظر: وزارة العدل الأمريكية: http://www.ojp.usdoj.gov/ovc/publica...gy/general.htm

(٦) ينظر: /http://www.cnn.com/٢٠٠٠/HEALTH/١٢/٠٥/health.stds.reut

http://www.cdc.gov/nchstp/od/news/RevBrochure١pdfintro.htm

(٧) ينظر: تقرير لوزارة العدل الأمريكية:

- وأما عمل المرأة في الغرب ففيه الهوان لها، فقد أكد تقرير لوزارة العمل الأمريكية أنَّ معظم النساء في الغرب يعملن في الوظائف ذات الأجور المنخفضة والمكانة المتدنية، وحتى مع الضغوط التي تبذلها الحكومة في تحسين وظائف النساء فإن (٩٧%) من المناصب القيادية العليا في أكبر الشركات يشغلها رجال[٢]. وفي تقرير آخر أن(٨٩%) من الخدم وعمال التنظيف هم النساء[٣].

وبدلا من مكان العمل الآمن عملت المرأة الغربية واختلطت بالرجال وتعرضت للاضطهاد والابتزاز والتحرش الجنسي بمعدلات هائلة، فقد أكدت دراسة قامت بها وزارة الدفاع الأمريكية أنَّ(٧٨%) من النساء في القوات المسلحة تعرضن للتحرش الجنسي من قبل الموظفين العسكريين[٤].

هذا بالنسبة للمحظوظات نسبيا من النساء الغربيات، أما غيرهن فقد اضطرتهن الحاجة للعيش إلى الوقوع ضحايا للاستغلال الذكوري، إذ كان صعبا عليهن منافسة الرجال في مجالات أعمالهم، وبالتالي لجأن إلى عرض أجسادهن وأنوثتهن ليدنسها كل فاجر. فقد انتشرت في أمريكا وأوروبا مطاعم تُقدم الطعام على أجساد النساء العاريات، ونساء عاريات يغسلن السيارات[٥].

وقد تفنن الغرب في جرِّ النساء إلى أعمال مخزية ومهينة نافسوا فيها صور العبودية القديمة؛ لقد أصبح استغلال أجساد النساء في شتى صور الإباحية صناعة عظيمة في الغرب حيث تجلب اثنا عشر مليار دولار سنويا في أمريكا وحدها[٦].

أمَّا في الإسلام فقد كرم الله المرأة وأغناها عن العمل إلا إذا رغبت في ذلك، حيث أنَّ مسؤولية العمل وكسب المال والإنفاق تقع شرعا على عاتق الرجال، بينما المرأة لا تتحمل مسئولية الإنفاق على أي أحد حتى على نفسها؛ إذ يتولى ذلك الرجال، سواء كانوا آباء أو أزواجا أو إخوانا، فهم مسؤولون عن

---

http://www.ncjrs.gov/pdffiles١/nij/١٩٩٧٠١_sectionI.pdf
http://www.ojp.usdoj.gov/nij/topics/.../measuring.htm

(١) ينظر: الموقع الرسمي الحكومي لولاية نيوجرسي الأمريكية:
http://www.nj.gov/dca/dow/publications/dvfactsheet٠٦.pdf

(٢) ينظر: وزارة العمل الأمريكية (تقريرالسقف الزجاجي – Glass Ceiling):
http://www.dol.gov/oasam/programs/history/reich/reports/ceiling.pdf

(٣) ينظر: موقع وزارة العمل الأمريكية:
http://www.dol.gov/wb/factsheets/٢٠lead٢٠٠٧.htm

(٤) ينظر: الوزارة الأمريكية (Veterans Affairs):
http://www.rehab.research.va.gov/jour/٠٨/٤٥/٣/pdf/Street.pdf

(٥) ينظر: رويترز:http://www.reuters.com/article/oddly...D٨٠٧٥٠٢٠٠٧٠٥١٧
بي بي سي:http://news.bbc.co.uk/٢/hi/uk_news/england/leicestershire/٤٨٨٩٥٧٠.stm

(٦) ينظر: رويترز:http://www.reuters.com/article/latestCrisis/idUSN١٢٦٥٩٥٠

المرأة مسئولية دائمة، أمَّا في الغرب فيجب أن تعمل لكسب قوتها، حيث إنَّ قوانينهم لا تلزم الرجال بالإنفاق على النساء.

وهكذا تظل المرأة الغربية في غالب الأمر تتجرع صنوف الأسى في ربيع عمرها، وحين تكبر تجد نفسها وحدها بعد أن تخلى عنها الرجال وتخلى عنها أبناؤها؛ لتمضي ما بقي من عمرها وحيدة أو مع كلبٍ أو في دار عجزة إن لم يكن لديها ما يكفي من المال. فقد أكَّد إحصاء رسمي أنَّ حوالي نصف عدد النساء الأمريكيات ممن تجاوزن الخامسة والسبعين من عمرهن وحدهن[1]، بينما المرأة المسلمة والحمد لله تظل محاطة بالحب والرعاية من أبنائها وأحفادها إلى وفاتها[2].

(١) ينظر: دائرة الإحصاءات الأمريكية:
http://www.census.gov/Press-Release/www/releases/archives/facts_for_features_special_editions/٠٠١٦٢٦.html

(٢) ينظر مقال: مقارنة بين المرأة الغربية والمسلمة، إعداد: موقع شبهات وبيان.

الوحدة الثالثة
الشخصية الإسلامية

يصوغ الإسلام بما جاء به من عقائد وشرائع وأخلاق شخصية أتباعه صياغة خاصة تميزها عن جميع أتباع الملل الأخرى[1]، وفيما يلي سأذكر أبرز ما يريده الإسلام من أتباعه، وهي على النحو الآتي:

الشخصية الإسلامية مع ربها:

المسلم مطيع لله تعالى، يشعر بمسؤوليته التي خلقه الله لأجلها، يعمل بمراد الله وفق شريعته، وهو مع هذا راضٍ بقضائه وقدره لا يجزع ولا يتسخط، ويقيم الصلوات المفروضة عليه في المسجد ويصلي السنن الرواتب ويقوم الليل ويحافظ على الوتر، ويخرج زكاة أمواله، ويصوم رمضان وما تيسر له من الأيام الفاضلة كثلاثة أيام من الشهر والاثنين والخميس ويوم عرفة ويوم عاشوراء، ويبادر إلى حج بيت الله وزيارة مسجد النبي ﷺ كلما تيسر له ذلك.

المرأة المسلمة مع هذا ملتزمة بالحجاب الشرعي، لا تخلو بأجنبي ولا تخالط الرجال، ولا تسافر إلا مع ذي محرم..

وكلاهما قائم بالعبودية لله تعالى، آمر بالمعروف ملتزم به، وناهٍ عن المنكر مجتنب له، يكثران من تلاوة القرآن ويحافظان على الأذكار والأوراد.

الشخصية الإسلامية مع نفسها:

المسلم نظيف في جسمه، معتدل في طعامه وشرابه، حسن المظهر والهيئة، نظيف الثياب، حريص على سلامة عقله وفكره من الانحرافات والمخالفات، يتعلم ما ينفعه في دنياه وفي آخرته، ويترك ما فيه ضرر عليه.

ويحرص على انتقاء الأصدقاء والأصحاب ممن يزداد بعلاقته قربا من الله وصلاحا واستقامة في سلوكه وأخلاقه، ويحذر من كل ما يؤثر عليه سواء في بدنه أو عقله أو أخلاقه.

الشخصية الإسلامية مع الآخرين:

المسلم **مع والديه** رحيم رقيق مؤدب مطيع مضحٍ متفانٍ في خدمتهما وإرضائهما، يقدم رضاهما وبرهما على رضا وبر كل أحد من الخلق، ويطيعهما في غير معصية الله عز وجل.

ومع إخوته وأخواته مؤدبا محترما لهم، يوقر الكبير ويحترم الصغير، ويعين المحتاج ويقضي الحوائج، ويدافع عن الضعيف رجاء الثواب من الله تعالى.

---

(١) من أجمل ما كُتب عن الشخصية الإسلامية كتابان للدكتور محمد علي الهاشمي هما: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، وشخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، وقد ترجما إلى عدة لغات عالمية ولقيا قبولا واسعا.

ومع أقاربه وصولا ودودا، يتفقد حوائجهم ويعطي فقيرهم، ويقف مع محتاجهم، يسعى لصلاحهم بكل ما يملك من وسع.

ومع سائر الناس يكون محترما لهم، يعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، يعين المحتاج ويعفو عن المخطيء، ويتجاوز عن زلات إخوانه المسلمين، يوقر الكبير ويحترم الصغير ويعرف لكل واحد منهم قدره وينزله منزلته.

وهو فوق هذا كلِّه صادق اللهجة، حافظا للسر، حسن الخلق، طليق الوجه، لا يتدخل فيما لا يعنيه، يحرص على نفع الناس بما يستطيع من مال وعلم وجاه، عفيف اللسان عن أعراضهم، عفيف النفس عن التعدي على حقوقهم المادية أو المعنوية، ليس للحقد في قلبه مكان ولا للحسد والبغضاء منزل، يعُدُّ الكهل منهم أبا، والصغير ابنا، والرجل أخا.

وهو متأدب بأدب الإسلام، فلا يغتاب أحدا، ولا ينم، ولا يكذب، ولا يسب ولا يشتم، ولا يطلق نظره في المحرم، ولا يسمح لشهوته أن تقوده وتغطي عقله، بل يلجم شهوته بلجام الدين والعقل والمروءة.

أسباب تميز الشخصية المسلمة:

إنَّ في العالم اليوم عشرات الأديان ومئات أو آلاف النحل والمذاهب، وكل منها يصوغ أتباعه صياغة تتناسب مع نظرته للنفس والكون والحياة، والقاسم المشترك بينها جميعا أنها لا ترفع الإنسان عن مستواه الأرضي، إذ أقصى علم علَّمته لأتباعها العلم الدنيوي، الذي لا يُجاوز الحياة الدنيا قِيد أنملة، قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الروم: ٧، ومن هنا تظهر الشخصية الإسلامية من بين مخلَّفات الثقافات الأرضية ناصعة يانعة جذابة؛ لما تميزت به عن سائرها، ومن أبرز أسباب تميزها:

١. علو مصدر التلقي:

الشخصية الإسلامية تتلقى أدبها وخلقها من الله تعالى عن طريق الوحي، وكان النبي ﷺ يمتثل ما أوحي إليه من آداب وأحكام، قال سعد بن هشام رحمه الله: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: **فإنَّ خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن**(١). وفي رواية: (**كان خُلُقه القرآن**)(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٧٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم(٢٥٣٠٢)، وهو صحيح.

فالمجتمعات لا ترقى بما تنتجه مصانعهم في مجال المادة، بل بما تتسم به نفوس الناس فيها من العقائد والقيم والأخلاق، وأكثرها اتصافا بالإيمان والصدق والعفة والنزاهة.

٢. الوضوح والصراحة:

إنَّ الإسلام يصبغ أتباعه بصبغة الوضوح، فلا مراوغة ولا مداهنة، بل صدق ووضوح في الأقوال والأفعال، قال النبي ﷺ: (**الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ**)[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال:(**تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**)[٢] . قال ابن حجر رحمه الله: "قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شرَّ الناس لأنَّ حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مُدخل للفساد بين الناس. وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنَّه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيُّل على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مداهنة محرمة. قال: فأمَّا من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود"[٣].

وهذا الوضوح في الشخصية الإسلامية يجعلها مأمونة الجانب، إن أحبَّت أحدا أخبرته بالمحبة، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه إنَّ رجلا كان عند النبي ﷺ فمرَّ به رجل، فقال: يارسول الله، إنِّي لأحب هذا. فقال له النبي ﷺ: (**أَعْلَمته؟**) قال: لا. قال: (**أَعْلِمْه**) قال: فلحقه فقال: إنِّي أحبك في الله. فقال الرجل: أحبك الذي أحببتني له[٤].

وفي المقابل: إن عادى المسلم أحدا وحاربه أظهر ذلك بلا مؤاربة امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنفال: ٥٨.

فالمسلم لا تتغير مواقفه وأفكاره وقناعاته بتغير الظروف المحيطة به قوة وضعفا، عزة ومهانة؛ بل هو ثابت واضح في كل الأحوال؛ لعلمه أنَّ ما يقوم به عبادة لله تعبَّده بها، فهو يقوم بها ويرجو الثواب منه تعالى.

٣. البشر والتفاؤل:

إنَّ إيمان العبد بالله تعالى وعلمه بأنَّ له قضاء وقدرا يجري الكون كله على نسقه، وأنَّ ما يصيب العبد من خير أو شر لا ينجيه منه حرص ولا له في دفعه طاقة يورثه طمأنينة في قلبه؛ فتظهر على جوارحه

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب برقم(٤٨٨٧)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٠٥٨)، ومسلم برقم(٢٥٢٦).

(٣) فتح الباري(١٠/٤٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود برقم(٥١٢٥)، وحسنه الألباني.

سرورا وسعادة، وقد وصف عبد الله بن الحارث الزبيدي ﷺ حال رسول الله ﷺ فقال: (**ما رأيت رسول الله ﷺ قط إلا مُتَبَسِّما**)[1].

وكيف يحزن المسلم وهو يعلم أنَّ الخير مآل أمره في كل الأحوال، فعن صهيب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ: (**عَجِبْتُ مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا**)[2].

٤. الشعور بالمسؤولية.

المسلم من بين شعوب العالم يعلم لِمَ خُلق وإلى أين يسير؟ فهو خُلِق لعبادة الله تعالى، كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦، ومن هنا عَلِم مسؤوليته في الحياة: عبادة الله، وعمارة الأرض، وتطويع الدنيا لتكون معبرا إلى الدار الآخرة، إذ لا سعادة في دار يفنى شبابها ويزول نعيمها ويتكدَّر صفوها، بل النعيم الدائم والسعادة التي لا شقاء معها، والصحة التي لا مرض فيها في الجنة.

وهذا اليقين يدفع العبد إلى الشعور بمسؤوليته في الحياة، ومن أبرز جوانب المسؤولية:

١) إصلاح ما بينه وبين الله تعالى، وذلك بتقواه في السرِّ والعلن.

٢) بذل الجهد لإصلاح الكون من حوله؛ ليكون الناس عبادا لله اختيارا كما أنَّهم عباد له اضطرارا.

٣) عمارة الأرض وإصلاحها، ومنع كل أنواع الفساد عنها.

ويندرج تحت هذه الجوانب الثلاثة كل علم نافع وعمل صالح، فيكون المسلم منارة حق وبناء وتقدم وخير للكون كله.

٥. الحرص على نفع الآخرين:

المسلم الحق لا يعيش لنفسه فقط، يأكل ويشرب ويلبس ويتمتع، بل هو حامل مشعل خير وهداية للكون كله، لا يترك بابا من أبواب الخير إلا ويضرب فيه بسهم طلبا للأجر والثواب من الله تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**كُلُّ سُلاَمَى ـأي: مفصلـ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم(١٧٧١٤)، وهو صحيح.

(٢) المصدر نفسه برقم(١٨٩٣٤)، وهو صحيح.

مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)[1] .

وتأمل الحديث الآتي ترى أنَّ الأجر قد رُتِّبَ على أعمال يسيرة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: (اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ)**[2] .

فهذه جملة من أبواب الخير يؤجر المسلم على فعلها، وهي بحمد الله سهله لمن أراد الله له الخير ونفع الناس، وقد أمر النبي ﷺ بتقديم النفع للناس ما لم يكن ذاك محرما، فقال: **(مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَن ينفع أَخَاهُ فَلْيَفْعَل)**[3] .

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي برقم(٢٣٠٥)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم برقم(٢١٩٩).

الخاتمة

آمل أن تكون هذه الصفحات مفيدة نافعة لقارئها ودارسها، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، كما آمل الكتابة لي بما يظهر للإخوة الزملاء أو الطلاب من ملاحظات أو اقتراحات تُسهم في تطوير هذا المقرر...

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، ط:بدون، دار المعرفة، بيروت.

٣. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، ط٥، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ.

٤. الأخلاق الفاضلة، أ.د. عبدالله الرحيلي، ط٢، مطبعة سفير، ١٤٢٩هـ.

٥. الأخلاق والسِّير، علي بن أحمد ابن حزم الأَندلسي، ت:عادل أبو المعاطي، ط١، دار المشرق العربي، القاهرة. ١٤٠٨هـ..

٦. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٧. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ط٣، دار السلام، القاهرة، ١٤٣١هـ.

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت — لبنان، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.

٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: طه عبدالرؤوف سعد، الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ.

١٠. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، ط٢، دار المعرفة، بيرت، ١٣٩٥ هـ.

١١. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيميةط٢، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٩هـ.

١٢. الأمالي المطلقة، أحمد بن حجر العسقلاني، ت: حمدي السلفي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٣. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقب بمرتضى الزَّبيدي، ت مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٧. تسمية المولود، بكر بن عبدالله أبو زيد، ط٣، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٦هـ.
١٨. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز المبارك، ت: د. عبد العزيز بن عبد الله آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٣ هـ.
١٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٠. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.
٢١. تلبيس إبليس، عبدالرحمن ابن الجوزي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر ابن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
٢٣. تهذيب الأخلاق، منسوب للجاحظ، ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤١٠هـ.
٢٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ، بيروت – ٢٠٠١م.
٢٥. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: د. محمد رضوان الداية ، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت،١٤١٠
٢٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٧. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ
٢٨. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
٢٩. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ت:فواز أحمد زمرلي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٣٠. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٣١. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ط٢، دار العروبة، الكويت، ١٤٠٧هـ.
٣٢. جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتبة الإسلامية،

الأردن، ١٤١٣هـ.
٣٣. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري،ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ.
٣٥. حراسة الفضيلة، بكر بن عبدالله أبو زيد، ط١١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٦هـ.
٣٦. حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية، د. نوال بنت عبد العزيز العيد، ط١، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٣هـ.
٣٧. خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر بن سليمان الأشقر، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٢م.
٣٨. الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ت: أ.د. أبو اليزيد العَجَمي، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ.
٣٩. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ.
٤٠. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، دار المنهاج، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٤١. سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي، ت: محمد فتحي أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ.
٤٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
٤٣. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر – بيروت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
٤٤. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، دار الفكر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع الكتاب: تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
٤٥. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، بيروت.
٤٦. السيرة النبوية، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٤٧. شخصية المرأة المسلمة، د.محمد علي الهاشمي، ط١١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣١هـ.
٤٨. شخصية المسلم، د.محمد علي الهاشمي،ط١٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣١هـ.
٤٩. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٥٠. الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ).
٥١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.
٥٢. صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.
٥٣. صحيح البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
٥٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوي، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٥. صيد الخاطر، عبدالرحمن ابن الجوزي، ت: حسن المساحي سويدان، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٥هـ.
٥٦. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٧. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٥٨. فتح الباري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، دار الفكر.
٥٩. الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ت: عادل بن يوسف العزازي، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٧هـ.
٦٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
٦١. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٦٢. كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ت: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.
٦٣. الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، ت: د. سهيل زكار، الناشر: عبد الهادي حرصوني،

دمشق، ١٤٠٠هـ.
٦٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ.
٦٥. متون طال العلم، جمع وترتيب: د. عبدالمحسن القاسم، ط٣، طبعة خاصة، ١٤٣٤هـ.
٦٦. مجموع فتاوى ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.
٦٧. المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، عبدالرحمن ابن سعدي، مركز صالح الثقافي، عنيزة، ١٤١١هـ.
٦٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ.
٦٩. المرأة في التصور الإسلامي، عبد المتعال محمد الجبري، ط١٠، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٤م.
٧٠. المرأة في القديم والحديث، عمر رضا كحالة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م.
٧١. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٧٢. المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
٧٣. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
٧٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ط١، ت: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠ هـ..
٧٥. معالم التنزيل، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٧٦. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٧٧. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، ت:محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٧٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ.

٧٩. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.
٨٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٨١. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٨٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٣. مفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان داوودي، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٣ هـ.
٨٤. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ.
٨٥. مقارنة بين المرأة الغربية والمسلمة، إعداد: موقع شبهات وبيان.
٨٦. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٨٧. منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ط١، ت: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الرياض، ١٤٠٦هـ.
٨٨. منهاج المسلم، لأبي بكر جابر الجزائري، دار السلام _ القاهرة.
٨٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
٩٠. موسوعة الأخلاق، القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، ط١، الدرر السنية، السعودية، ١٤٣٤هـ.
٩١. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد، ط٤، دار الوسيلة، جدة.
٩٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبن الأثير، ت: علي بن حسن ابن عبدالحميد، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.
٩٣. الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، ت: محمد عبدالرحمن عوض، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة:.....	١
الباب الأول: التمهيد:.....	٢-١٨
الوحدة الأولى: مدخل للثقافة الإسلامية:.....	٣
الوحدة الثانية: التعريف بالإسلام، خصائصه:.....	١٣
الباب الثاني: مكونات الإسلام:.....	١٩-١٠٣
تمهيد:.....	٢٠
القسم الأول: أصول العقيدة الإسلامية:.....	٢١
القسم الثاني: أصول الأحكام الشرعية الإسلامية:.....	٢٨
القسم الثالث: القيم والأخلاق والآداب الإسلامية:.....	٣٦
الوحدة الأولى: مدخل للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية:.....	٣٧
الوحدة الثانية: القيم الإسلامية العليا:.....	٤٣
الوحدة الثالثة: القيم الإسلامية الحضارية:.....	٥٢
الوحدة الرابعة: الأخلاق الإسلامية:.....	٦٢
الوحدة الخامسة: الآداب الإسلامية العليا:.....	٧٧
الوحدة السادسة: قواعد في الآداب الإسلامية الاجتماعي:.....	٨٨
الوحدة السابعة: أخلاق المهنة، وطرق اكتساب الأخلاق:.....	٩٥
الباب الثالث: النظام الاجتماعي في الإسلام:.....	١٠٤-١٤٣
الوحدة الأولى: الأسرة في الإسلام:.....	١٠٥
الوحدة الثانية: المرأة في الإسلام:.....	١٢٤
الوحدة الثالثة: الشخصية الإسلامية:.....	١٣٩
الخاتمة:.....	١٤٤
فهرس المراجع:.....	١٤٥
فهرس المحتويات:.....	١٥١